دار كتابات جديدة
للنشر الإلكتروني

سلسلة الرواية العربية المعاصرة
(١٩)

الأفوكاتو

أشرف مصطفى توفيق

دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
طبعة أولى
ديسمبر ٢٠١٥

سلسلة الرواية العربية المعاصرة (19)

الأفوكاتو

رواية

أشرف مصطفى توفيق

دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

طبعة أولى

ديسمبر 2015

سلسلة الرواية العربية المعاصرة (19)
سلسلة تصدر عن دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
المؤلف: أشرف مصطفى توفيق
العنوان: الأفوكاتو
التصنيف: رواية
الطبعة الأولى: ديسمبر 2015
تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي
تصميم الكتاب ومراجعته لغويا: د. جمال الجزيري
الناشر: دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح
للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها الدار، الرجاء قراءة التعريف بمجموعة دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني لمعرفة مواصفات تجهيز الملف:
https://www.facebook.com/groups/Ketabat.Jadidah.Ebook.Publishers/
وإرسال الملف وفقا لشروط النشر على إيميل د. جمال الجزيري أو على الخاص في صفحته على الفيسبوك:
elgezeery@gmail.com
https://www.facebook.com/gamal.elgezeery

@2015 حقوق نشر النصوص ملك لأصحابها، وحقوق هذه الطبعة الإلكترونية ملك لدار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني. وكل كاتب مسئول عن لغته وعن أسلوبه وعن محتوى كتابه وأية منازعات خاصة بحقوق الملكية الفكرية يكون طرفها المؤلف وليست الدار طرفا فيها.

@حقوق المراجعة اللغوية والنحوية ملك لجمال الجزيري ولا يحق للكاتب نشر كتابه في أي مكان آخر بنفس صيغته الواردة في الكتاب الذي تمت مراجعته إلا بعد إثبات اسم جمال الجزيري بصفته مراجعا للكتاب في أية طبعة يطبعها الكاتب لاحقا.

@حقوق تصميم الغلاف ملك لمحمود الرجبي

الجزء الأول

الفصل الأول

تذَكَّرْتُ ما قَاله طَهَ حُسيْن فِي روايته (أديب) عن فرنسا بلاد الجِنِّ والْملائكَة... ولكن هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضورِ النِّساءِ؟ جاء السُّؤَالُ الْغَبي: هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضور النِّساء؟! تعليقاً ساذجاً على حكاية مريم المجدلية وزواجها بالمسيح؟!

إلماحٌ:

وواصل عنبسة بن سُحيم الكلبي- سيره، لفتح المسلمين لبلاد الغال: " فرنسا - حاليا" عام 102 هجرية ووجد الطريق أمامه خالية، فسار مسرعًا دون أن يلقي مقاومة وصعد حتى أدرك نهر الساءون، فاستولى على أوتون، واستمر في زحفه الظافر، فقذف الله في قلوب الكفار الرعب فلم يتصدَّ أحد منهم للمسلمين إلا لطلب الصلح، واجتاح المسلمون مدينة أوزه، وفيين، وفالنسي، ووصلوا إلى مدينة ليون التي يسميها العرب "حصن لودون"، كذلك زحفوا على مدينة ماسون، وشالون، ووصلوا إلى مدينة "سانس" عاصمة إقليم "يوند" على

بُعد ثلاثين كيلو مترًا فقط جنوبيّ باريس، وقد تصدت هذه المدينة للزحف الإسلامي، فكانت آخر ما وصل له الفتح ويبدو أن القائد المسلم عنبسة بن سُحيم قد أدرك بعد هذا التقدم الظافر الذي جعله يقترب من باريس أنه توغل في قلب فرنسا أكثر مما ينبغي، فقد طالت خطوط العودة، فخشي أن تُقطع عليه بعد أن ابتعد مسافة ألف ميل شماليّ قرطبة، كما أن أحوال الأندلس قد بدأت تتغير بظهور العصبيات المختلفة؛ مما دعاه إلى العودة بعد هذا النصر.

Université de Lyon:

وهكذا وصلت لليون (حصن لودان) كما سماها أجدادي العرب في منحة دراسية مجانية، يقطع مدينة ليون نهران هما الروم والسون (السين) ومن هنا كنيتها "مدينة النهرين"، ويلتقى النهران جنوبي مركز المدينة ويشكلان ما يشبه الجزيرة في المركز. مركز مدينة (ليون) محاط من الشرق ومن الغرب بتلّيْن: على الأول في الغرب تتركز مؤسسات

وأماكن دينية كثيرة من بقايا الشموخ الروماني، بينما يحوي التل الشرقي الكثير من ورش الحرير. كانت منحة الدراسة في جامعة ليون الكبيرة (Université de Lyon) ، والأفرع الثلاثة الرئيسية لجامعة ليون هي جامعة كلود برنار، وجامعة لوميير، وجامعة جان مولان. والأخيرة هي مكان دراستي حيث أدرس فيها الإنسانيات والقانون.

ففي يوم مطير، كان يومي المائة فِي الْغربَة فِي هَذَا اليوم عبر الْفرنسيون فِي (الْميديا: الصحافة والتليفزيون) بانزعاج عما قام به الشّهيد الفلسطيني (ساهر حمدالله) بقيادته سيارَة مفخخَة اتجهت صوب مستوطنَة "ميحولا" على بعد 15 كم من نهر الأردن، فانفجرت بين حافلتين عسكريتين إسرائيليتين، وصف الفرنسيون العمل بالإرهاب؟ وكنا نحن الدارسين العرب نحس بنشوة الفرح والبطولة، كنا نحن وهم كما يقول المثل الصيني "سرير- واحد- وحلمان"، وهو مثل يشير لاختلاف البشر في الأفكار - ولكن هل حلم رجل وزوجته أبدا على الفراش بحلم واحد؟! ففي الوقت الذى غيّر

فيه الفلسطينيون طرق النضال من الطوب للرصاص، كنت أغير طريقتي في العشق للطريقة للفرنسية؟ وبالطبع كلتا الطريقين وجدتْ معارضة؟! فكما بدل الشافعي في فقهه عند نزوله لمصر بدلت اجتهادات العشق بفرنسا، أليس الإنسان أبن بيئته كما يقول علماء الاجتماع؟!

قابلت الجزائري "بورحاب". استقبلني بـ "أهلا مسيو"، وبدأت حكاياتة. فهو متحدث لبق ويخلط الفرنسية بالعربية كلما ضاع منه المعنى العربي، يرتعش وهو يتحدث في حيوية، وهو ضخم الجثة نوعا، يقول عنة (عباس العقاد) فيما كتب: (يرى ماشيا كأنه راكبٌ). ينتقل بي من سر الرئيس "فرانسوا ميتران" الذى اكتشف له خليلة عرفها من عشرين عاما وأنجب منها طفلة؟ إلى اليمني "حسان التعلبي" الذى جاء معه بالقات؟! ولكنة لا يجد وقت القيلولة الحار (للتخزين)، فاضطربت أحواله، إلى الصراع على الجزائر بين الشيوخ والجنرالات (ديسمبر 1991- يناير 1992) وكيف هرب من الموت هناك.

دخلنا معا المحاضرة. كانت عن الحالات التي تحتاج لقوانين جديدة؟ كان عُنوان الْمُحاضرَة: (أهميَّة نصوص الرَّأفَة وإيقاف التَّنفيذ فِي التّشريع الْعِقَابِي). تحدثت باختصار عن نص م 17 في مصر وكذا م 55 فِي إيقاف التَّنْفيذ.

كانت تتدخل وتسعفني فتشرح ما أقوله إذا تطلب الأمر الإطالَة. كانت لساني فِي غربتي - ففرنسيتي عرجاء. عَلَّق الْمُحاضر(جارودي-مارسل): ليس الأمر متروكا للقاضي، فالْمحامي يجب أن يحثه فِي مرافعته ويتمسك بذلك فِي مُذَكِّرَة طَلَباتِه، فالسُّلطَة التّقديريَة[1] للقاضي هُنَا سُلطَة وَقائِع لا سُلْطَة مُطلَقَة. ولِذا فالعمل بالعدالَة يقتضي معرفَة علم الاجتماع وعلم النَّفس، وليس الْقانون وحده. فالأوراق الْجنائيَّة عندنا بِهَا خانَة لدراسَة الْحالَة تتحدث عن ظروف الْجاني[2] وبيئته

[1] يجوز فِي مواد الْجنايات إذا اقتضت أحوال الْجريمَة الْمقامَة من أجلها الدعوى الْعموميَة رأفَة الْقضاَة تبديل الْعقوبَة على الْوجه الآتي : عقوبَة الإعدام بعقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤبدَة أو الْمؤقتَة , عقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤبدَة بعقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤقتَة أو السجن , عقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤقتَة بعقوبَة السجن أو الْحبس الذي لا يجوز أن ينقص عن ستَة شهور , عقوبَة السجن بعقوبَة الْحبس الَّتِي لا يجوز أن تنقص عن ثلاثَة شهور.

[2] يجوز للمحكمَة عند الْحكم فِي جنايَة أو جنحَة بالغرامَة أو بالحبس مدَة لا تزيد على ستَة أن تأمر فِي نفس الْحكم بإيقاف تنفيذ الْعقوبَة إذا رأت من أخلاق الْمحكوم عليه أو ماضيه أو سنه أو الظروف الَّتِي ارتكب فيها الْجريمَة ما يبعث على الاعتقاد بأنه لن يعود إِلَى مخالفَة الْقانون ويجب أن تبين فِي الْحكم أسباب إيقاف التّنفيذ , ويجوز أن يجعل الإيقاف شاملًا لأيَة عقوبَة تبعيَة ولجميع الآثار الْجنائيَّة الْمترتبَة على الْحكم.

ومعتقداته، فهِيَ تَهْتمُّ به قبل وقوع الْجريمَة، فنحن لا نشعر بغليان الْماء إلا فِي درجَة 100 فِي حين أن الْغليان قادم مُنْذُ درجَة 98 ولو لأتفه الأسباب. هل قرأ أحد روايَة (الغريب) لكامي؟ إنّ الْقتل يأتي من مجرد انعكاس ضوء الشّمْس بقوَّة على عيني بطل الرِّوَايَة، إنه فِي حالَة غليان لا يعرفها النَّص، لأن النَّص الْقَانُونِي يتحدث عند وقوع الْفعل، لا قبله ولا بعده، بغير ذَلِكَ تُصبح أعمال الرَّأفَة ووقف التّنفيذ والاختيار بين الْحَدِّ الأقصى والأدنى للعقوبَة درب من التّخمين! كان البروفيسور "ساجان" يطلب منا المشاركة واستلهام الحلول، مستفيدا من تعدد جنسيات الدارسين وتعدد القوانين. قال بمرح: المرأة تقلب علينا المنضدة، منضدة القانون، وأحيانا منضدة الفضيلة، أما كيف؟ فهذا ما سنعرفه وعلينا أن نجد حلا؟! فهي تريد أن تكون أماً، بأي شكل وبأي علاج، رضي القانون أم سخط، اتسعت رحمة الدنيا أم انفتحت أبواب جهنم. فبعد حريتها الجنسية اصطدمت بحاجتها البيولوجية للأمومة؟! وعرض لحالات تحدثت عنها الصحف الفرنسية:

كورين (22 سنة): أرملة لضابط فرنسي أحبته ثلاث سنوات وفجأة اكتشف "أنه مصاب بالسرطان في البروستاتا": وكان لابد من استئصالها، لقد أصبح عاجزاً عن الإنجاب. وكان قبل ذلك يقوم ببعث حيواناته المنوية إلى أحد المراكز الطبية بانتظام ليعرف سبب عدم إنجابه قبل اكتشافه المرض. بعد موته لجأت أرملته كوين إلى المحكمة تطلب استرجاع هذه الحيوانات المنوية وإنها من حقها. رفض المركز الطبي إن يسلمها هذه الحيوانات لأن الفقيد لم يوصي بها لأحد. ولكن حكمت لها بذلك إحدى محاكم باريس، وحصلت على الحيوانات الخاصة بزوجها وبدأت تفكر في الإنجاب بالتلقيح الصناعي من هذه الحيوانات؟ ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها محرجة؟ فلا هي تستطيع أن تمنعها من هذه العملية ولا تستطيع أن تخرج على قانونها الذي ينص على: "إنه بعد وفاة الأب بثلاثمائة يوم أذا أنجبت زوجته اعتبر الابن غير شرعي".. ولازالت هي تحوز المني وتهدد به الجميع وترى أن أمومتها أهم، وتقول:

- ماذا أفعل تأخرت قضيتي بين المركز الطبي والمحاكم أكثر من ثلاثمائة يوم؟!

أعلن رجل أنه في حاجة إلى أم تقبل أن تحمل منه عن طريق التلقيح الصناعي ولها مكافأة مالية كبيرة إذا وافقت، ومكافأة أكثر إذا حملت وإذا ولدت وأعطته هذا الطفل ليسعد به هو وزوجته؟! كانت لهذا الرجل زوجة قد أجهضت مرتين، ثم اتفق الزوجان على أن يكون لهما طفل عن طريق التلقيح الصناعي بواسطة امرأة أخرى- وجاء الرد بموافقة سيدة تعمل في هيئة طبية لتحديد النسل ومتزوجة! حملت صناعيا وولدت وعندما تقدم الأب البيولوجي للام الوالدة بالنيابة رفضت أن تعطيه الطفل؟ فهي أمه وقالت هذه الأم في المحكمة:

- عندما فكرت في الحمل كان دافعي إنسانيا، ولكن بعد أن حملت شعرت بلذة الحمل وولدت وشعرت بآلام الوضع، وعندما رأيت الطفل أحببته فهو ابني ولن أعطية لأحد.

والقانون لا يعرف إلا أبا واحدا، وهو الأب الشرعي، وليس الأب البيولوجي، فالطفل إذن ابن هذه السيدة وزوجها. وقد طلبت المحكمة من الأم أن تسمح بإرسال بعض الصور للطفل لوالده البيولوجي، والأب الشرعي ليس راضيا تماما عن هذا الطفل، رغم قبوله أموال الأب البيولوجي وإنفاقها؟ والأب البيولوجي تعيس تماما لهذه المأساة، ولكن الأم الحامل بالنيابة هي الأم الحقيقية. إما الزوجة الأخرى فلا تزال تفكر في الأمومة؟!

هنا انشقت الأرض ووصل أبو رحاب لمنصة البروفيسور وقال:

- عندي الحل، نطبق الشريعة الإسلامية: الولد للفراش، وللعاهر الحجر؟!

وتكهرب الجو وسمح البروفيسور له أن يقدم اقتراحه مكتوباً، ففرنسا العلمانية لا تسمح بذلك داخل الجامعات.

اشتقتها.. بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه يذكرني بها. هذه الْمرأَة الْمنفلتَة من النَّص، كانت من هرهورَة (جنوب الرِّباط)

على شاطئ "كازينو الساحر" بالمغرب، هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن سبع مرات فِي موجات سبع طلبا للزواج، أو رغبَة فِي الإنجاب السريع؟! وكنت من أسوان حيث ينتشر بين النِّساء اعتقاد راسخ بأن تمثال (مَن) إله التّناسل عند الْفراعنَة، والْموجود فِي جزيرَة (الفانتين)، ينطوي على قدرَة خارقَة تتجلى فِي إخصابه للنساء الْعاقرات، وهُنَاكَ طقوسا خَاصَّة تتبعها كل امرأَة قبل الزيارَة، حيث تقوم سيدَة أخرى بتشريط كعب قدمها بالْموس حتَّى تنزل منه الدماء وتقوم بوضع (مستكَة ومحلب وجادي وشَبَّة) فِي مبخرَة وتخطو عليها السيدَة سبعَة مرات ثم تنطلق إِلَى الْجزيرَة، فتركب الْمركب وتعبر به النَّهر شريطَة ألا تتحدث مَعَ أحد على الإطلاق أثناء الذهاب والعودَة حتَّى تعود إِلَى منزلها وتلتقي بزوجها! وفى طريق الْعودَة يقولون: تكون فِي نظرتها جرأَة الْمرأَة الَّتِي تعلم الصبي كيف يعرف ذكورته.. فلقد أعطاها الإله الخصوبة وما الرَّجل إلا فرصَة لعمل أعجوبَة الْقدر - كنا من أرضين يمتلكا غيباً محوجاً بالأساطير؟ !

جمعتْنا قليلا قاعات الدَّرس.. وكثيرًا الصُّدَف!!أنا فِي مِنحَةٍ دراسيَّة قصيرَة أبحث عن صحيح النَّص الْقانونيِّ (ظاهِره وباطنه)، وهي فِي دراسَة مُعَادِلَة لِتَعملَ كَمحاميَّة بفرنسا، هِيَ تبحث عن مكامِنِ ضَعْفِ النَّصِّ وأنا أُقَدِّس النَّص ولا أَخرُج عليه بِحُجَّةِ ضَمَان النَّظام واستمرار حركَة المجتمع، وهِيَ تتحايل عليه، تلاعِبُه لا مانع عندها من الإفْلات من قسوته، فهِيَ لها أيضًا مصالحُها، والغريبُ أنَّ النَّص يسعُنا ويعطِينا ولا يتمَلْمَل! ولسْنا إلا وَسَائِل لِيُجْرِيَ الْقَدرُ المشيئَةَ - مَنْ يُدانُ ومَن يُفلتُ.

جاءت من هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر، منذ حضوري لجامعَة ليون احتوتني وكأَنَّهَا فِي الانتظار، صاحبتي تلهو في باريس بعيداً عن أزقة المغرب الضيقة وعيون حاراتها الواسعة المتلصصة؟! ما كنت أمشي معها في الشارع العام وهى بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى، أصرخ مبتعداً عنها:

- مجنونة، نحن في الشارع العمومي، ألا ترين الناس؟!

تلتصق بي وتقول:

- إنهم لا يرون شيئا. لا أحد ينظر إلينا.

تلفت نظر الناس عندما تبتعد عنى! وأنا أشهق رغما عني، والتصق بها، نبحث عن باب أول عمارة آمنة تصادفنا. أجذبها فيها إليّ؟! بداية كنت مضطربا، وبمرور الوقت تعودت، وصارت تمشي إلى جانبي: عيناها تبحثان معي عن أي مكان يمكنني فيه أن أقبِّلها وأتحسسها.. نلهو بالروايات وتفكرني بما قاله محفوظ في رواية السراب (أفضل شيء أن تلاعب فتاة تحبها).. كانت وحيدَة "مقاطعة" من الدارسين الْعرب، لأنها لا تضع حاجزا بينها وبين الدارسين اليهود، دخلت إليها، حنينها كساني جنونا. فهل التقينا أم التقى الجنوب بالجنوب؟ !

جاءت في الموعد عقب المحاضرة، حينما نظرت إليها كانت لا تزال فِي نظرتها جرأَة الْمرأَة الَّتِي تعلم الصبي كيف

يعرف ذكورته فيرفع جلبابه، يالـ(فتنة الأسطورة)!! فقررت ألا أعاتبها على مصاحبتها اليهود كعادتي، ولكنها جاءت مقررة أن تسكت حتى عتاب نظراتي بعدما سمعنا اليوم عن النقلة المؤثرة في نضال الفلسطينيين: من الطوب للبارود. فسَّرتْ لي موقفها الْمختلف بعبارَة:

- كلنا دارسين لا فرق بين جنس أو عقيدَة أو جِنْسِيَّة لسنا محاربين؟!

ثم أوضحت التّفسير "الفرانكفوني":

- لليهود فِي فاس حيهم الخاص، وللوصول من بيتنا إليهم لابد من نصف ساعَة بالتّمام، واليهود يشبهون سائر النَّاس فِي ثيابهم الطويلَة الشّبيهَة بجلابياتنا، وهم يضعون قبعات بدلا من الْعمائم، وهذا كل شيء. وهم منصرفون إِلَى أعمالهم ويلزمون حيهم ومنظمون جدا وإحساسهم بالطائفَة أكثر نموا من إحساسنا، يصنعون حليا بديعَة!! وتصنع النِّساء محفوظات من الخضار بالخل، وقد حاولت أمي أن

تفعل مثل ذَلِكَ بالْكوسا والخيار والْباذنجان الصَّغِير، لكنها لم تنجح قط! أتعرف كيف وصلوا إلينا فِي مراكش.. ومتى؟ كان ذَلِكَ أثناء احتلال إسبانيا، حوَّل الأمويون الأندلس إلى جنَة وارفَة الظلال وبنوا قرطبَة وإشبيلية. ولحق اليهود بهم. لماذا وكيف؟! قد يَكُون السبب الرَّئيسي أن الأمويين الْمسلمين عصبَة من محبي الْفرح، الخلي الْبال، والذين تلهوا ببناء قصر خرافي "الْحمراء". قضى الْعرب فِي الأندلس سبعمائَة عام وهم يلهون بتلاوَة الشّعر وملاحظَة النَّجوم فِي حدائقهم وكانوا متسامحين إلى حد أنّه لم يكن يعرف ما ديانَة الْجار؟ وكان النَّاس يُغَيِّرون عقائدهم كما يغيِّرون قُفْطَاناتهم؟! ويوما استفاق الأطلس الْعربي لنراهم يغدون علينا بالْمئات، الْعرب واليهود، وهم يصرخون من الخوف ومفتاح بيتهم الأندلسي بيدهم؟! كانت تطاردهم ملكَة مسيحية متوحشَة خارجَة رأسا من الثلج اسمها "إيزابيل"، لقد ركلتهم

ركلَة حقيقية. وقالت لهم: إما أن تصلُّوا مثلنا وإما أن نرميكم فِي الْبحر.؟! لكنها فِي الْواقع لم تترك لهم وقتا ليجيبوا! وألقى جنودها جميع النَّاس فِي الْبحر الْمتوسط وسبح الْعرب واليهود حتَّى طنجَة (إلا الذين أتاح لهم الْحظ أن يعثروا على سفينَة) وأسرعوا إِلَى فاس ليختفوا فيها (كل ذَلِكَ قبل أكثر من خمس مائَة عام)، إيزابيل الْكاثوليكية طردت الْمسلمين مَعَ اليهود لأنهم لا يصلون بالطريقَة الَّتِي تصلي بها!

قالت:

- أتريدني أن أفعل ما فعلتْه "إيزابيل"؟

جاء الجزائري "بورحاب" وبدأت حكاياته.. أقول:

- أتريد قهوَة ؟

فيغرد بصوت أجش:

- يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة.؟!

تقول زبيدة :

- إلا القهوة، إنها مشروب المنازل، الصينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. فإذا رفعت الْفنجان ترشف الْبن المر تتناول معها التّمر. وإذا احتجت الْماء. رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف للماء الْورد ..

يرد الجزائري:

- أهي قهوة أم هوى؟ إنهم بالمغرب يشربون قهوة أسمهان!

جاءت المشاكل كالعادة مع بورحاب، التف حولنا جمع من الفرنسين والدارسين العرب يستفسرون منه عن معنى: الولد للفراش وللعاهر الحجر؟ وهو يشرح- تارة بالفرنسية وأخرى بالعربية – قال:

- فالفراش هو الزوجية الصحيحة بين الرجل والمرأة.. فإذا حملت ينسب حملها لزوجها، والأصل حمل الناس على الصلاح والاستقامة، فإن كان العكس- فللعاهر وهو من زنا بها - الحجر، أي العقوبة المقررة بالشرع سواء الجلد أو الرجم، ويبقى نسب الولد لأبيه من العقد الصحيح.

ليتلقى السخرية من الفرنسين في أن يكون ذلك حلاً لفرنسا؟! ويرتفع الصوت مع هرج ومرج، ويقول لهم بورحاب:

- العرب في الجاهلية والإسلام لا يعرفون الأبناء غير الشرعيين كما تعرفوهم، ولكنكم تقننون الدعارة، ولا تستجيبون للاتحاد الأوروبي الذى طالبكم بـ "اتخاذ التدابير الضرورية لعدم تشجيع الظاهرة وتقليص الطلب عليها الذي يكرس جميع أشكال الاستغلال. "البلدان الإسكندنافية كالسويد والنرويج

وفنلندا، اتخذت تدابير بفرض غرامة مالية قدرها 1800 دولار على من يأتي العاهرات.

وهم يضحكون ففرنسا العلمانية تقدس الحرية يقولون له:

- حاجاتنا الجنسية والقانون لا يمكن له أن يحرمنا منها..

وبدأ اتهام الـ 8% من سكان فرنسا من المسلمين برغبتهم في احتلال بلادهم وهتفوا:

- تسقط نجاة فالو بلقاسم؟!. تسقط نجاة فالو بلقاسم؟!

استفسرت من زبيدة؟ فتنحت بى جانبا وقالت:

- إنها وزيرة حقوق المرأة الفرنسية ذات الأصل المغربي وهى تدعم بعض النواب الفرنسين لعمل مشروع ضد الدعارة وأن صحيفة "لوفيغارو" الفرنسية أجرت تحقيقا عن الدوافع التي جرَّت الرجل الفرنسي إلى أحضان العاهرات. وكانت النتيجة التي وصلت لها الصحيفة أن "العاهرات

يمارسن الجنس مع الزبائن بشكل لا يمكن للرجال أن يقوموا به مع زوجاتهم". ولكن كل هذا عبث، فالقانون الفرنسي لا يتدخل أبدا في حالة الرضى بين رجل وامرأة، صاحبك المجنون (بورحاب) لا يعرف أن لكل وزير هنا عشيقة؟! ولكنهم يحاولون مقاومة مهنة "الدعارة". راجع الْقانون الفرنسي إِنِّي أعرف من يجمع بين أكثر من واحدَة بفرنسا من عرب شمال أفريقيا والعراقيين، وهم لا يقولون بأنهن زوجاتهم هربا من قانون فرنسا الذى يحرم (تعدد الزوجات) ويتمسحن في الرضى الذى يقره القانون الفرنسي. على العموم، تراجعت دعارة الفرنسيات، خلال السنوات الأخيرة، بعدما اجتاحت «المهنة» فتيات وافدات من دول البلقان وشمال أفريقيا ووسطها والصين وجنوب أميركا.

تعالى هتاف فرنسي:

- عودي بلقاسم للمغرب.. حي كليطو بسوق الأربعاء ودوار الضبابة بتيفلت في انتظارك

قالت زبيدة:

- لا مفر من الاحتفاء بالجسد بدلا من قمع رغباته.. بدأنا بالْبِغَاء الْمُقَدَّس وانتهينا بالْمُخَادِنَة، أو العشيقَة. وأدرك الرَّجل مُنْذُ الْبدايَة أنه إذا لم يكتف بزوجته فإنها هِيَ أيضًا لن تكتفي به ففِي الْمعبد[3] القديم، ولذا ظهر في التّاريخ الرَّجل الذي يصنع لزوجته حزام الْعِفَّة الْحديدي ويُمسك بمِفْتاحِه معه؟! ولكن لأنه

[3] يلحق بالهياكل (فِي سومر) عدد من النِّساء منهن خادمات ومنهن سراري الآلِهَة أو لممثليهم الذين يقومون مقامهم على الأرض (الرِّجَال) ولم تكن خدمَة الهياكل على هَذَا النَّحو الْجِنْسِي يعتبر عارا - وكان على امرأة من نساء بابل (كما ذكر الْمؤرخون ومنهم هيرودوت) أن تذهب مرَة فِي حياتها لمعبد الآلِهَة ميليتا (Mylitta) حيث تجلس تنتظر أي رجل يدخل إِلَى الْمبعد فإذا أعجب الرَّجل بشكلها ألقى فِي حجرها قطعَة من الْفضَة ثم مارس معها الْعمليَة الْجِنْسِيَّة داعيا لها أن ترعاها الآلِهَة ميليتا ولم يكن مسموحا للمرأَة أن ترفض ما ألقي فِي حجرها؟! فإذا ما انتهت الْعمليَة الْجِنْسِيَّة وانتهى معها واجبها الديني تركت الْمعبد وعادت إِلَى منزلها!!وقد استمر الْبغاء الْمُقَدَّس فِي بابل حتَّى الْقرن الرَّابِع قبل الْميلاد، ثم أُمِر بإلغائه الإمبراطور قسطنطين حوالي سنَة 325 ق .م وكان اسم آلِهَة الْمعبد يتغير من بلد، فِي بابل كانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يخدمن فِي معبد الآلِهَة ميليتا، وفي كلدانيا وسوريا حلت محل الآلِهَة ميليتا الآلِهَة "عشتروت" (Astarte)، وفى بلاد الْفرس كان هُنَاكَ معبد الآلِهَة ميترا (mithra) أرمينيا معبد أنايتيس (anaitis) وعلى حدود بلاد الْعجم معبد الآلِهَة أرتميس (artemis) وكانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يتألفن من طبقَة الْكاهنات يطلق عليهن (حريم الإله) واشتهرت فِي روما فِي معابد الرَّومان الْبغايا الْمُقَدَّسات لدى الآلِهَة برياب وباكوس ومتينوس وغيرها .. ويقول كولن ويلسون: إنه لا يرى لهذا الْمعنى إلا أن يَكُون الإله له أعضاء جسديَة وله علامات الذُكُورَة.؟! الْمهم أن الْعذراء بعد ممارسَة الْجنس تكتسب التّقديس وتصبح امرأَة ومقدسَة فِي وقت واحد . وقد ظل الْبغاء الْمُقَدَّس موجودا حتَّى عصرنا هَذَا فِي بلاد منها: الهند واليابان وتفتح الْمعابد أبوابها فِي الهند والسند لاستقبال الْفتيات اللائي يهبن أنفسهن للآلِهَة ويخصص بعض هؤلاء الْفتيات لإرضاء حاجَة الرِّجَال الْجِنْسِيَّة (حجاج الْمعبد) وغير مسموح لهن أن يتزوجن؟! من قبل زوار الْمعابد!

خَصَّص لنفسه نساءً أُخْرَيات خارج نِطَاق الزَّوَاج، فهو عاجز عن الاكتفاء بواحدَة ؟!

قلت:

- كان هُنَاكَ عصرٌ يجمع فيه الرِّجَال الْجواري والإماء وما ملكت أَيْمَانُهم، ورجالنا ورثة هؤلاء العظام؟!

قالت:

- فإذا كان الرَّجل الْفاضل له الْحق فِي كل ذَلِكَ، فالْمرأَة الْفاضلَة يكفيها زوج أو عشيق واحد؟! ما رأيك؟ أتقبل بهذه الْقسمَة؟! وإن كان الأمر لن ينتهي ففي الْمغرب الآن عندنا ما يعرف بالزَّوَاج الصَّيْفي، وهو زواجٌ الْكُلُّ يعرف أنه مُؤَقَّت ولكنه يَصْمُتُ حتَّى لا تَبُور النِّساء والْبنات! هو زواج مُحَدَّد الْمُدَّة يحل مشاكل الرَّجل الْغَنِي، و الْمرأَة الْفقيرَة مَعَ وجود هَمِّ الْعُنُوسَة الْقابِع على أنفاس حَرِيم الْمغرب.. وهاهم الفرنسيون يعايرون المغرب بأحيائها الفقيرة حيث الفقر وبيع الجسد- كليطو

بسوق الأربعاء ودوار الضبابة بتيفلت؟! ستظل فرنسا طول الوقت عنصرية، حتى لو نجحت في الحد من الدعارة.

قلت:

- حَلُّ الْمُشْكِلَة الْجِنْسِيَّة لا يستطيع أحد قولَه، ولا كتابته !

قالت:

- العصور تُوجِدُ لنفسها تِقْنيَّة سرِّيَة بأشكال متعددَة لتجديد الْغرام؟!

تحَرَّكَ الْعقل الْقَانُونِي؟!الْقانون الْفَرَنْسِي لا يتدخل إلا عند الاعتداء على الْحُريَة الْجِنْسِيَّة. وفى حالَة الرِّضا يُتْرك الأمر لدائرَة الأخلاق - الأمر مُطَمْئِن!! الاغتِصَاب هو اتِّصال رجل جِنْسِيًّا بامرأَة دون مُساهمَة إِرَاديَّة من جَانِبِهَا - فإن رَضِيَت –لا شيء فِي الْقانون؟

انطلق لساني الْفَرَنْسِي الأخرس فِي داخلي:

- أليس اعتداء على شرفها؟

ردت رغبتي الْمُتَرقّبَة:

- الشَّرف مفهوم أخلاقي لا قانوني. الرِّضَا هُنَا قرين الْحُب، الْقانون علم تجريبي إنساني، فكيف يغفل الْحب؟!!

تساءلت:

- هل ينتهي الْحب عندما تنتهي الْحكايَة ؟! أم أنه يُشبِه الأرابيسك الَّذِي يشتغل على وحدَة رئيسيَة يعيد إنتاجها على امتداد مسطح الْعمل كله؟

شعرت بأني تخلَّصتُ من الْجمل الْمبالغ فِي التّأقلم مَعَ الصحراء الْقاسي مَعَ نفسه فِي فَهْم نصوص الأقدار، تخلَّصْت من حياءِ الْجِمَال الَّذِي تأخذه عليَّ الْمغربيَّةُ السَّمْراء، فالْكلام واضح ولا حَيَاء فِي الْقانون ولا فِي الْعُيون. فالجَمَل الَّذِي لا يأتي أنثاه إلا فِي خلوَة رغم رحابَة الصحراء يحتاج لمُرَاجعَة الْقانون الْفَرَنْسِي، والاستسلام للقوَّة النَّاعمَة والأقدار النَّاعمَة!!

فلماذا أنا عاجز تمامًا عن أيِّ مُلاطفَة لها وسيِّئ فِي اختيار الْمقعد الْقريب منها الَّذِي يسهل لها ممارسَة نَزَوَاتِها أو أُمُومَتها؟ فلم تكن زوجَة ولم تكن أُم، ولكنها من فقهاء قانون الْمدرسَة اللاتينيَّة !

***

(Holy Grail)

[أصْبَحْتُ أمام المكان المسمى بالكأس المقدسة بجنوب فرنسا، رصد بعض المؤرخين والكتاب حياة المجدلية وكتبت "لين بينكت" في كتابها مريم المجدلية: (إن السيدة رحلت إلى فرنسا، التي كانت تسمى بلاد الغال وقتها، ولا يعرف الكثير عن فترة وجود المجدلية في فرنسا، وإن كانت الحكايات المتواترة عنها أنها وضعت هناك ابنتها من المسيح، ولكن الحقائق المؤكدة تقول إنه بحلول القرن الثاني عشر والثالث العشر الميلاد كما رصدت (سوزان هيسكنز) في مؤلفها حول المجدلية [زيادات بشكل

ملحوظ في أعداد الحجاج الذاهبين لزيارة ضريح مريم المجدلية في (فيزالى) بجنوب فرنسا]

والمثير أن العديد من الرسائل البابوية من الفاتيكان والتي أصدها الباباوات لوشيوس الثالث، وأوربان الثالث، وكليمنت الثالث، قد أكدت جميعها بشكل رسمي أن جسد المجدلية مدفون بالفعل في فيزالى، (إلا أن أحد منهم لم يفسر على الإطلاق كيف استقرت جثة المجدلية هناك؟!)

***

بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه يذكرني بها، كان المكان ممتلئًا بالنَّاسِ من كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ شمال أفْرِيقْيا، لِبْنَان، بعض أَهْل الْخَليج وكَثْرَة عِرَاقِيَّة وَسُورِيَّة.. أَشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ. لَكِنِّي تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحَة لا أعرف مَصْدَرها، كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّي غُمُوضَ الأماكن الجديدة. جمعتني بها الدراسَةُ والصدف؟!الْمَكَان بِزجاجه الْملوَّنِ وبديكوره الْبسيط يُوحِي بأزمِنَةٍ أُسْطوريَّة: مشربيَّات بالأَرَابِيسك الْمُتداخل عَاشِق ومَعْشُوق، مشكاوات

مُتناثِرَة هُنَا وهُنَاكَ، قُلَل فخَّاريَّة تخرج منها إضاءَة خَافِتَة تَتَلوَّن بلَوْن جَوْف الْفخَّار فترى كل ألوان قوس قزح، الأحمر يتداخل بالأزرق، والأصفر يطل من الأخضر.. النِّساءُ كثيرات بجَمالِهنَّ، وأناقَةِ مَلابسِهِنَّ الْعَاريَةِ عفويَّة جِلستُهُنَّ تُظْهِر مِن أفْخَاذِهِن أكثر بكثير مِمَّا تعوَّدْتُ فتُعْطِي الْمكانَ مَذاقَ الْمُعاصَرَة، وليس عراقة وعتاقة الدين؟!

الأمر مجرد (سياحةــ صرفة) تعتمد على أساطير وميثولوجيا (مسيحية) وليس على حقائق دينية! أو نصوص إنجيلية وكيف لا، ونحن فِي فرنسا – العلمانية الأوربية المعلنة؟

ولكن ماذا حدث للذُّكور؟! أغلب الْمَناضِد حولها فرنسيَّات بِدُون رجال؟! حَلَقَاتُ الدُّخَان من فَمِ الْفرنْسيَّات لها تداعِيَات خَاصَّة، هل هذه الْمناضِد (جيتو خاص أم أنَّ فرنسا تعرِف الْحرَمْلِكَ؟) هل تأتى معشوقتي الحلوة؟ وكيف لا تجيء وقد أحضرت تبغ النعناع الأخضر؟!

ابتسمت حينما وجدت سجائري (الْمينتول) بلونها الأخضر النّعناعي، أشعلت واحدَة.. وهي تُرَدِّد:

- متى تُغَيِّر شعالَة النَّار هذه؟ !

قلت لها:

- شيء خطير أن يغير الرَّجل نوع تبغه !!

قالت:

- لا مفر.. أستسلم؟!

من يومها وأنا أدخن سجائر مينتول خضراء... كنت لا أدخن السيجارَة بل أدخنها بداخلي. فهل هي مُضِرَّة أيضًا بالصدر؟

تركت يدها في يدى آمنة، فلقد كنا نبحث معاً عن لحظة البراءة..؟! استمرت تحكي عن المكان، والكأس المقدسة، وكل ما تقوله غيب محض بالنسبة لي.

قالت:

- وفي القرن العشرين تم تصويرها في كثير من الأفلام الروائية، وأخيًراً صدرت في كتاب روائي باسم: "الدم المقدس، الكأس المقدسة" سنة 1982 م. وفي هذا الكتاب قدم مؤلفوه الثلاثة الأسطورة، بأسلوب تقديم الحدث التاريخي في صورة رموز وألغاز وأسرار، وحولوا دم المسيح إلى نسل للمسيح والكأس إلى رحم مريم المجدلية، الذي حمل نسل المسيح وزعموا أنه من المحتمل أن يكون المسيح قد ذهب بعد الصلب مع مريم المجدلية وأطفالهما، التي تخيلوا أنه يمكن أن يكون قد تزوجها!! إلى ما يعرف الآن بجنوب فرنسا، وأسسوا هناك سلالة ملكية، هي الميروفينجيان الذين حكموا المنطقة التي تعرف الآن بفرنسا وألمانيا من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الثامن، وكان يشار إليهم أحيانا، بالملوك ذوي الشعر الطويل. المكان أصبح مشهورا بالكأس المقدسة بعد رواية كتبت في 2003 م ليثور سؤال: هل تزوج المسيح بمريم المجدلية؟ وهل

أنجب منها أولاداً؟ وهل تعيش ذريته حتى هذا اليوم؟!

قلت لها:

- لم يكن المسيح متزوجاً فحسب، بل كان أباً أيضاً، أتصدقين رواية زادها الخيال؟!

قالت:

- الكتاب الروائي يوثق الحقائق بالسرد، ويتركنا نفكر: هل كانت مريم المجدلية الوعاء المقدس؟ وكانت الكأس الذي حمل سلالة يسوع المسيح الملكية؟ والرحم الذي حمل ورثة المسيحية والكرمة التي أنتجت الثمرة المقدسة؟! هذا الكلام تكرر كثيرا وفضح في رواية "شفرة دافنشي" للروائي الأمريكي دان براون التي يقول فيها: (إنه خلال القرون الأولى للمسيحية لم يكن هناك اعتقاد بألوهية المسيح، ولكن كانت النظرة له أنه نبي عظيم وقائد فذ وبشر فان، وأن قرار ألوهيته أتخذ على يد البشر

في القرون اللاحقة أثناء تأسيس الكنيسة نفسها بشكلها الذي عرفه العالم، وبما أن المسيح كان إنساناً عادياً في المقام الأول فقد أحب وتزوج مريم المجدلية وهي نفس السيدة التي وصمتها الكنيسة في مراحل متأخرة أيضا بأنها زانية وزعم (براون) على لسان بطل روايته أن المسيح أنجب من مريم المجدلية ذرية ذات دم مقدس؟!

آه يا هي...آه يا عربدَة الْعقل؟!.هكذا قلت تعليقاً على عبث العقل بالأديان تحت مسمى شيطاني: حرية البحث، ورحابة الاعتقاد، وسمو الشك، وروعة صدق التاريخ؟!

أخذت نَفَسًا عَمِيقًا، من السِّيجارَة الَّتِي توهَّجَت بين أصابعي وابتلعتُه، ورددت عبارة:

- إنه تلبيس إبليس!

تعجبت وقتها بعينيها ولم ترد!

الْمَكَان بزُجاجِه الْملَوَّن وبديكوره الْبسِيط يُوحِي بِأزمنَةٍ أسْطوريَة، بَاقي النِّساءِ منَ الْجِنسيَّات الْعربيَّة مُرْتَبِكَات بين

السُّفُورِ والْحِشْمة، مع تدرُّجٍ مِزاجِيٍّ فيما يُظْهِرْنَ من الشَّعر أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه؟!أم إِطْلاقُه على حُرِّيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟!لقد جئن بملابس حشمة تناسب زيارات دينية، فوجدن فرنسا لعوبًا لا تهتم؟!

على كل حال الْفُرجَة والْبحْلقَة أكثرُ إِثَارَة؟! تذَكَّرْتُ ما قَاله طَهَ حُسيْن فِي روايته (أديب) عن فرنسا بلاد الجِنِّ والْملائكَة ... ولكن هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضورِ النِّساءِ؟ جاء السُّؤَالُ الْغَبي: هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضور النِّساء؟! تعليقاً ساذجاً على حكاية مريم المجدلية وزواجها بالمسيح؟!

قالت:

- مريم الْعذراء كانت ترافقها الْملائكَة، والأنبياء أفضلُ من الْملائكَة. التوراَة تقول إن النَّبي داود كان عنده 99 امرأَة وكان مُستعدًّا أن يرسل ضابطًا عنده إِلَى الْحرب على الْحدود بعيدًا لِكَيْ يضم إليه زوجَة الضَّابِط فيُكمِل مائَة امرأَة!! فلماذا لا يكون للمسيح امرأته؟ !

لم أُعَلِّق على ردِّها المفاجئ والطويل، فلماذا لم أقل لها بأنَّ النَّبِي داود عاتبه الله على عِشقِه الْمِئَوي لأنه نظر إِلَى مُتَع جارِهِ ،ولم يشكر الله على ما عنده، فيظَلُّ السُّؤَال مَطْروحًا؟!

هل لأنِّي أمسكت يدها وأخذت أعُدُّ الخَواتِم في أصابعها؟!أم لأني مثلُ النَّبي داود لم أكتف يوما بنعجة واحدة، فكيف سيتم عتابي أو عقابي. على كل حال ليس لي فِي الْغرام إلا أقل من عُشْر النبي داودَ ؟!

قالت:

دعك من اللاهوت، وتمتع بالناسوت، اللَّيْلَة استَقْبِلنِي وسأريك كيف يضيئ عقدي الحجري في الظلام؟ !

ضوء أزرق وديع يخرج من نمانم النُّحاس الْموضوعَة بالْمَكَان بتلقائيَّة تُلْقي هُنَا.. وهُنَاكَ.. أنوارًا خَفيفَة مُرْتجفَة وظِلالا شفَّافَة. هُنَاكَ امتِدَاد تلقائيٌّ لِنَظَري ينتهي عند بِركَة مُتَّسعَة غازلتُها بأنَّ عيْنَيْها بلَوْن بُحُور الْجنَة.. استفسرت؟ !

كانت عيناها عسليَّة وبالجنَّة بُحَورٌ من عسل، قَهْقَهت وأشارت إِلَى شفتها السفلى: هل أجد فيها علامَة خروج آدم من الْجَنَّة؟! لم أفهم ؟! فشرَحتْ لي أَنَّهم فِي الْمغرب يعتبرون (الأشرم) من النِّساء ذات الشفَة الْمشقوقَة، امرأَة ساخِنَة لا تهدأ رغبتها؟! وأنَّها قامت بعمليَّة تجميل اتِّقَاء للشُّبُهات!! ولكنها تركت ندبَة بشفتها السفلى. وجدتُ نفْسِي أُقَبِّلُها، ركَّزْت على الشَّفَة السُّفلي عند مكان النّدبَة أرغب أن تتحقق فتنَة الأسطورَة؟! كنت أدور فِي فلكها مجذوبًا بقوَّة هائلَة، كأنَّها الشَّمْسُ وكأنني الأرض. اعتدلت فِي خجل، وأنا أبتسم. قلت:

- كنت فِي الْجنَّة، أنا مثل أبي الأوَّل آدم.. إنها جينات الْغوايَة!

ابْتَسمتْ وهي تُغَمْغِم بالفرنسيَّة:

- أنا لست بقايا الْجنَّة، أنا بقايا الْحريم، كانت بوَّابَة بيتنا تفصل حريم النِّساء عن غرباء الشارع، وكان شرف أبي ارتبط بهذا الْفصل كان بوسع الأولاد

عبور الْبوَّابَة بصعوبَة أما النِّساء الْبالغات فلا؟!حَلِمَ جميع النِّساء أن يَهِمْنَ على وجوههن بحرِّيَّة فِي الشَّوارع، وكانت حكايَة "الْمرأَة الْمجنحَة" الَّتِي تستطيع أن تطير من الْفناء متى شاءت كلما رُوِيَت فِي الْمغرب، كانت النِّساء يُعلِّقْن أطراف قفاطينهن بزَنَانِيرِهن ويأخذن فِي الرَّقْص، وقد مددن بين أذرعهن وكأنهن ينوين أن يطرن! وقد بذرت ابنَة عمِّي "نوَّارَة" الَّتِي بلغت السَّابعَة عشرَة الاضطراب فِي ذهني عندما أَفْلَحَتْ فِي إيهامي أنَّ للنِّساء أجنحَةً غير منظورَة، وأنَّ أَجْنحتي ستطلع عندما أكبر !!

هَذَا ما استطعت عليَه صبرًا من فرنسيَّتِها الْجميلَة.. أما باقي ما قالتْهُ كان غريبا وأخذتُه إجمالا؟!وكان يدور حول عدم اعتقادها بأن تكون الْجنَّة مخلوقَة الآن! قالت بل الله يُنشِئها يوم الْقيامَة، خَلْقُ الْجَنَّة قبْلَ الْجَزَاء عَبَثٌ غير واقِع على وجه الْحكمَة؟![4] كان شوقها في آخره.. قامت فجأة:

[4] فيما بعد تبين لي أن ما توصلت له بعفويَة الْمنطق هو رأي الْمعتزلَة والْمُرجئَة "من الْفرق الإِسْلامِيَّة" .كما تبين لي أشياء أخرى؟! فقد قال أبو الْقاسم الرَّاغب في تفسيره: واختُلِف في الْجنَّة الَّتِي أُسْكِنَها آدم فقال بعض الْمتكلمين: كان

- قم بنا؟!

سألت:

- إلى أين؟

قالت:

- حين لا تجد المرأة رجلا ضارب الدنيا صرمة مثل يس، تقوم بنفس الدور.. أنا أدعوك للعشاء عندي .

قامت وسحبتني وأنا منوم بجراءتها؟ !

داخلي يهمس، هل تهزم امرأَةُ الْعزيز هذه اللَّيلَة؟!

ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنا. ففي لحظَة من أَجَلِّ ما عرف الزَّمن رغم أنها مُعادَة وتحدُث فِي اليوم

بستانًا جعله الله تعالى له امتحانًا ولم تكن جنَّة الْمأوى لهما، وجعلها دار ابتلاء وليست هِيَ جنَة الخلد الَّتِي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا على قولين: (أحدهما) أنها فِي السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الْحسن. (الثاني) أنها فِي الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشَّجرَة الَّتِي نُهِيَا عنها دون غيرها من الثِّمار. كما قال أبو الْقاسم الْبلخي وأبو مسلم الأصبهاني: هذه الْجنَّة في الأرض وحملوا الإهباط على الانتقال من بقعَة إِلَى أخرى كما في قوله (اهبطوا مصرًا) واحتجَّا عليه برأي (آخر) وهو قول الْجبائي: إن تلك الْجنَّة كانت في السماء السابعَة! (والقول الأخير) وهو قول الْجمهور: إن هذَه الْجنَّة هِيَ دار الثواب والخلود بعد الْحساب يوم الْقيامَة.

- حادي الأرواح إِلَى بلاد الأفراح - محمد بن أبي بكر الزرعي – باب بيان وجود الْجنَّة - ص11 وما بعدها – مكتبَة الْمتنبي- القاهرَة - 1955".

الْواحد آلاف الْمرَّات، فهِيَ الْمَعاد الَّذِي لا يُملّ، وما ينبغي أن يُمَل؛ فهو يَتضمَّن سِرَّ الْوجود الأعظم

الفصل الثاني

وزير الداخلية الفرنسي "جاء وانتزع ما أراد من الأزهر الشريف"، وأن شيخ الأزهر" من البداية أعطى له الحق، ووافق على قرار فرنسا.

في ساحة "تيِريوُكس" أو "تيرو" كما نقول نحن العرب حيث تتوسطه نافورة باراتولدى" المرأة والأربع خيول" تعبيراً عن فرنسا، وأنهارها الأربعة - التي بنيت في القرن التاسع عشر. النور يسطع في ليون كلها، رغم أننا في عز الليل!! ولكنه احتفال "يوم النور" أجمل احتفالات ليون، والسياح يأتوا من كل فرنسا ليعيشوا النور حتى الصباح - يقولون إن النور يقتل الأرواح الشريرة، ويتوقعون في اليوم التالي مفاجأة سارة. مع الأطعمة الفرنسية وتسوق الحرير الذي يباع بنصف ثمنه في هذا العيد وبرغم حضوري الاحتفال، وشراء شال حريري لزبيدة بمناسبة حصولها على المعادلة وإمكان أن تعمل بفرنسا كأفوكاتو إلا أنها أفهمتني أن الأمر لايزال معقداً، فلابد من وضع مبلغ معين في بنك

(جريت اجركول) الفرنسي، ووجود مكتب محاماه فرنسي يقبلها، وأنها سترجع المغرب تتدبر ذلك وستعود لتكون فرنسا محطتها الأخيرة، وأنها لها عندي رجاء..

قالت:

- الأستوديو الذى أقيم فيه بشارع الشعب، والذي جهزته وسأعود إليه، أريد أن أحافظ عليه حتى أرجع، ما رايك أن تنتقل له وتترك سكنك الجامعي؟!على فكرة إجاره ليس كبير؟!

أجَّل إجابتي انضمام عصبه لنا كان معهم مفاجآت لعيد النور أكثر إثارة: شيخ الأزهر طنطاوي أعطى لباريس "الحق" في حظر ارتداء الحجاب.

قال فلسطيني:

- وعد بلفور جديد

وانتقد إصرار فرنسا على تقييد حرية المحجبات في الوقت الذي تتمسك فيه بمبادئ العلمانية والثورة الفرنسية الداعية في جوهرها إلى احترام الحريات. وأضاف بلهجة

غاضبة أن وزير الداخلية الفرنسي نيكولا ساركوزي "انتزع ما أراد من الأزهر الشريف"، وأن شيخ الأزهر "من البداية أعطى له الحق، ووافق على قرار فرنسا، وهذا لا يجوز من الناحية الشرعية أو الوطنية أو من أي ناحية، وكان يجب أن نقول لفرنسا وغيرها هل يمكن أن نجبر غير المسلمات لدينا على لبس الحجاب؟!وأن الحجاب فرض ديني، وليس مجرد شعار[5]

كان لابد أن أنصرف بعد أن بلغ التطاول على مصر مداه لأتورط في طلب زبيدة الذى لا أملك رده، رغم أنى لا أطيقه.

[5] اعتبر الدكتور عبد الصبور مرزوق أن أعضاء المجمع وهم "الدكتور صوفي أبو طالب، الدكتور عبد الصبور مرزوق، والدكتور طه أبو كريشة، والدكتور نصر فريد واصل، والدكتور محمد رأفت عثمان، والشيخ إبراهيم عطا الفيومي، والدكتور أحمد الطيب، والمستشار جمال الدين محمود، والدكتور محمد إبراهيم الفيومي، والشيخ فوزي الزفزاف" بالإضافة إلى الدكتور علي جمعة مفتي مصر. فوجئوا بما قاله شيخ الأزهر، وأن هذا الكلام لم يتفق عليه (قبل اللقاء)، وبالتالي فإن شيخ الأزهر يمثل نفسه، ولا يمثل الأزهر فيما قاله بأن فرنسا لها الحق في فرض قانون يمنع ارتداء الحجاب" وأشار إلى أن الأعضاء لم يحتجوا على شيخ الأزهر خلال اللقاء "اتباعًا لأدب الحوار، خاصة أنه قيل بأن الوزير سيعاود الجلوس معنا بعد لقائه بشيخ الأزهر، وهو ما لم يحدث". وقال الدكتور عبد الصبور مرزوق الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو المجلس الأعلى للبحوث الإسلامية التابعين للأزهر "شيخ الأزهر لم يأخذ رأينا في البيان الذي أدلى به قبل محادثات مع وزير الداخلية الفرنسي الزائر نيكولا ساركوزي

."

وتوالت مفاجآت عيد النور، ووصلني خطاب:(أحتاج إليك وأهرب منك وأرحل بعدك من نفسى.. في بحر يديك أفتش عنك فتغرق أمواجك شمسي. والحب قرار والبعد قرار.. وأنا لا أملك أن اختار.) بهذه الكلمات أعلنت زوجتي عن حضورها لفرنسا هي وابننا علي بعد أن حصلت على إجازة لرعاية الصغير لمدة سنتين، مقررة الاستفادة من فرنسا في أطروحتها للماجستير في علم المصريات القديمة، وهي في غيها معتقده أن فرنسا مهوسة بالفراعنة، وخلفهم من المصريين، غير مدركة أن (نقابها) يمثل [خرقا لعلمانية – فرنسا المتعصبة] وهى لا تدرى ماذا فعل ساركوزي؟ قدمت ككل النساء تعليلات سطحية لقرارها المتهور، من عينة صعوبة ترك ابننا الصغير عند أمها كل صباح وذهابها للعمل، رغم أن هذا كان ساريا وقت وجودي بمصر؟! حتى أنى عرضت عليها فكرة إجازة رعاية الطفل ورفضتها، بحجة أن أمها مرحبة بالصغير علي وليست ثمة مشكلة، ثم كلام طويل عن وضعها المتميز في وزارة الآثار وإشرافها على بعض البحوث. لم يتغير شيء ولكن نادتها باريس، إلا

أنها كالعادة حشرت أمي في الموضوع، متعللة بأن حماتها تلح عليها أن تكون بجوار زوجها.. وتلح عليها بألا تترك حفيدها وحيداً فردا. أكانت هِيَ الْحقيقَة؟ أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه؟ إن زوجتي ذكية ويمكن أن تطيل التّركيز وتصل لنتائج ولها فِي الْمداعبَة والتّهريج والتّمثيل- الأمر ليس يسيرا- وبخَاصَّة أني فِي أهوائي لا أعرف الْحذر وأحيانا أعيش الْحب كغاية فِي ذاته. ألم تكن "زبيدَة" تقول لِي: أحيانا تحسبني امرأة أخرى. . امرأة فِي خيالك .

أتكون على علم بالمرأة التي دخلت حياتي بفرنسا؟! ففي بداية زواجنا شعرت بالكاتبة غريبة الأطوار التي كانت تحوم حولي. فكذبت الْعلم بالْكيد؟! أكان فِي عيني بيان الْفرار فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف وضجر أنثوي وشبح امرأة أخرى تحترف الكتابة كتبت: في روايتها (كما يمكن أن نقع في الحب من أول نظرة يحدث ذلك أيضا عند الكتابة - عشقه قلمي ليكتب عنه، كان رجلا للكتابة يملك التناقض المولد للأحداث. أحبني كأمرأة وأحببته كرواية

أكتبها في العشق!! ذله قدر أنه لم يفهم كاتبة.. وذله قلم أنى لم أفهم رجلا؟!) أم هو استثناء الْعلم؟!.. يا للنساء !

على كل حال، بقيت للحكاية نكهَة الْفحولَة حين أحكي بأن الْعلم لا يقف فِي وجه قوَة الرَّجل، الْجامح، الطامح فِي الْعشق، وأضرب بنفسي كمثال، فتطمع بعض النِّساء فِي هذه الأُعْجوبَة وتعتقد أن مجرد روايتها غزل أو عرض ينتظر الطلب! ولكن تبقى الْحقيقَة عند زوجتي، والطبيب الْمعالج ؟

احتكم الأمر، فأمرى ليس لي، الآن أنا (أمريكانلي) وهو التعبير الذى نحته صنع الله إبراهيم في رواية له بنفس الاسم ويقصد به الدول توابع الأمريكان، والتي لا تملك من قراها شيئا وعليها السمع والتنفيذ؟! يالا الروايات ستأتي المرأة الشرعية على فراش المرأة المرغوبة وفى بيتها - لا يفعلها إلا يس أبن السيد عبد الجواد في ثلاثية محفوظ، كلنا يس عبد الجواد؟!

(ففي: بين القصرين):[أخذ عبد الْمنعم إبراهيم "يس"، ناديَة لطفي "زَنُّوبَة الْعالْمَة" وهو سكران طينَة فِي حنطور

ودخل بِهَا على زوجته فِي منزل الزوجيَّة – لم يجد مكانًا آخر؟ــ قِلَّة الْحيلَة – استيقظت زوجته؟! ترك الزوجَة والعشيقَة معًا فِي عراك!!]

أنطلق لمطار باريس وهو بينه وبين ليون ما بين مصر والسودان وفى رحلتي أقابل بورحاب الذى أفهمني أنه على مساحَة كبيرَة من أرض الْمعارض الَّتِي تقع خارج باريس يجتمع الآلاف من الْمسلمين الْقادمين من أنحاء أوروبا وأيضا أفريقيا وبعض الدِّول الْعربيَّة، على مدى أربعَة أيَّام - سنويًّا- يلتقون خلالها بالشخصيات الإِسْلامِيَّة من مختلف الْبلاد الأوروبيَّة والإسلاميَّة يتحدثون عن قضاياهم الرَّاهنَة وعن إسلامهم، وأن المؤتمر في الغد. وقد تحدد عنوان الْمؤتمر ليكون: "من أجل إسلام خاص بفرنسا" وأنه ذاهب لهناك، فقلت في نفسى حظ عائشة زوجتي في رجليها لننضم ولترى باريس .

الإسلام بنكهة باريس؟!

كانت فرصة ساقها الْقَدَر (أربعَة أيام) للإطلال على الْمسلمين خارج ديار الإسلام. هكذا أعلنت الْفكرَة لزوجتي، بينما كان الهدف الأساسي هو خروجي من أزمَة تطوُّر الْعلاقَة مَعَ (زبيدَة) الْمَغْرِبيَّة، ابنَة مَرَاكِش الَّتِي وصلت مشاعري نحوها بل مشاعرنا الْمتبادَلَة حدَّ الْعِشْق. الْحقيقَة أن هَذَا الْعشق الْجديد أدخلني مدن الأحزان. وانشغلتُ بحالي حتَّى لا يُؤَدِّي الأمر إِلَى وضع نفسي يَعُوق تَحمُّل الْغُربَة وانْشِغَالي بالدِّراسَة. (زبيدَة) فِي هَذَا التَّوْقيت استولت تماما على مشاعري، ولمَّا كُنْت فِي الْحُبِّ لا أعرف اللَّعِب على خمسين حبل، ولا الانتقال بين النِّساء أصابني الْعطَب وتبيَّن لِي أنها لعبَة صعبَة لا أعرفها، أن أغير الأقنِعَة وأعيش الزَّيْف. كان الأمر صعبًا أن تكون شفتاي بين أربع شفاه، وأن أنتقل من حضن إِلَى حضن. كيف أعطي زوجتي حنان الخيانَة، وألعب سياسَة فِي الْعشق؟! من الْواضح أني أحادي الهوى، ولكن كيف الصبر على واحدَة طُوَال الْعمر؟! كان

ابني الصَّغِير (علي) مَلاك الرَّحمَة بيننا، انْشَغَلْتُ به وانشغلتْ به زوجتي؛ ولِذَا بَدَت الْفِكْرَة مُوَفَّقَة، أربعَة أيام مَعَ الزوجَة الشَّرْعيَة، والابن الْعصَب.. وأهل الله من الْمسلمين وحَتَّى وإن اختلفت الْجنسيَّات.

"من أجل إسلام خاص بفرنسا" هو الشِّعار الذي رفعته الْمنظمات الإِسْلامِيَّة فِي فرنسا مقابل الْفكرَة الأولى الَّتِي يتخوَّف منها الْفرنسيون وهِيَ "الإسلام فِي فرنسا"، حيث أن السلطات الْفَرَنْسِيَّة ترفض وجود إسلام فِي فرنسا مُنْفَصِلا وَمُنْعَزِلا عن الْمُجْتَمع الْفرنسي لذلك اختار الاتحاد الإسلامي هَذَا الْعام أن يَكُون شعاره موجَّها إِلَى السلطات الْفَرَنْسِيَّة فِي الأساس لكي يطمئنوا إِلَى أهدافهم.. فشعار هَذَا الْعام يدل على أن الاتحاد لا يريد من الْمسلمين فِي فرنسا أن يكونوا منفصلين عن واقعهم.

اليومُ الأوَّل: اجْتاحت صالاتِ الْعُرُوض هَذَا الْعام بجانب الْكُتب والْكاسِيتَّات اللافِتاتُ باللُّغَتين الْفَرَنْسِيَّة والعَربيَّة الَّتِي تتحدَّث عن الإِسْلام، وتُعلِن عن الْمدارس الإِسْلامِيَّة

وتُطالْب بتبرُّعات لِبِناء الْمَساجد خَاصَّة فِي باريس وضواحيها؟! فكان التَّركيز أكثر على التّبرُّعَات وفتح الْمدارس الإِسْلامِيَّة خَاصَّة بعد تطبيق الْقانون الخاص بِمَنْع ارْتِدَاء مَا ينمُّ عن الانتماء الدِّينِي فِي الْمدارس، ومقصود به الْحجاب بالنِّسْبَة للفتيات، وذلك بهدف إعطاء الْفتيات الْمسلمات الْفرصَة ليتعلمن بدون أن يضطررن إِلَى أن يخلعن الْحجاب.. بعد طرد "إرنست شانفير" فتيات مغاربيات محجبات من مدارسهن الثانوية رغم أنهن مواطنات فرنسيات ولدن ويعشن بفرنسا وخيرن بين الحجاب والتعليم! بدعوى خرقهن لقانون العلمانية الذى لا يسمح بالرموز الدينية في مدارس الحكومة العمومية، ولقبته الصحافة وقتها ب (بابا –العلمانية). وفي الْمُقابِل صدر قرار سِيادِي لـ (دي فيلبان) - بتعليم وتكوين أئمَّة الْمساجد فِي فرنسا فِي (جامعَة السوربون) ويبلغ عدد هؤلاء الأَئِمَّة نحو 1250 إماما مسلما فِي فرنسا، ويَتَكَوَّن برنامج تدريب الأئمَة أساسا من تعليم اللُّغَة الْفَرَنْسِيَّة، ومبادئ الْقانون والنظام السياسي الْفرنسي، والتاريخ الْفرنسي، وثاني خطوَة تقدم بِهَا دي فيلبان هي

تشكيل رابطَة إِسْلامِيَّة تكون مهمتها تنسيق وتنظيم الْعلاقات بين الْمسلمين فِي فرنسا والسلطات الرَّسميَة الْفَرَنْسِيَّة، ويكون من مهمتها أيضًا تَقَبُّل التَّبَرُّعات والأموال من فرنسا والخارج لرعايَة شُئون الْمسلمين فِي فرنسا؟! وبذلك يَكُون (دي فيلبان) قد منع تمويل الْمساجد من الخارج، وأوقف تأثير الدِّول الأخرى فِي شئون مسلمي فرنسا.. وسط كل هَذَا الْمشهد الدِّينِي تَأْتِي خواطر مضْطَربَة، أُحاول صرفَها فلا تُصرَف! لم تكن من الشَّيطان بل من داخلي.. لم تبرح مخيلتي:

#زبيدة" حين نبهتها بأنه لا تزال أشياء بيننا.. لا يكفي أن يتعرى الْجسد للجسد؟! وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان؟! قالت:

- اخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد الْمُدَلَّل تطُوى.. (قول قبلت بك عروس فترة وجودي بفرنسا، حلالاً وتمتع بي؟!)..

كنت أفضل أن تصدني، أن تمنعني.. لا أن نتورط. لم أفعل أكثر من التجاوب العاطفي والتحرش الزائد؟! استغرب حين قالت:

- الإمام علي تمتع بامرأة من بنى فحشل؟! أهبك متعة، وصلني مهرك من خاتمك؟.!

قلت في فكاهة:

- أتمارسين السحر المغربي، أم تصنعين تعويذة من "حكايات ألف ليلة وليلة" للوصال.

#زبيدة" عندما أوشكت على الذِّرْوَة أخرجت نفسي لأنتهي على بطنها، أحاطت خصري بساقيها، وهِيَ تقول: لا..لا.. ابقَ!!" كيف؟! أأنا الأوَّل أم مجرد عابر سرير؟ همهمت مَعَ نفسي.. أحبُّك، فما ذنبي إن جاءني حبك فِي شكل خطيئَة؟! ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث ؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنا.

***

كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات إِلَى الْمسيح؟ هَذَا السُّؤَال أجاب عنه تقرير قُدِّم للمؤتمر فِي اليوم الأَوَّل.. وكشف التّقرير أن الْمسلمين هم الأكثر توقيرا لشخص الْمسيح، والأكثر إيمانا بمضمون رسالته الَّتِي بُنِيَت على الْمحبَّة والتَّسَامح، بينما يرى أتباع الْبوذيَّة أنه شقيق لـ "بوذا" رغم التّفاوت الزمني والجغرافي بينهما؟!وهو يقترب أيضا من موقف الديانَة الهندوكيَّة. أَمَّا اليهود فلا يرونه بكل هَذَا الْجلال والتَّوقير، فقد ألصقوا به صفات بَشِعَة ونعتوه بأوصاف وألقاب مُشِينَة. الْمسلمون يؤمنون بالْمسيح كنبي يسبق محمد – صلى الله عليه وسلم - زمنِيًّا وأنه رسول الله جاء بالإنجيل. وبالنِّسْبَة لليهود كانت نظرتهم التّاريخيَة الْقديمَة للمسيح ولا تزال كمُخَلِّص ومُنْقِذ للبَشَرِيَّة وإن كانوا يعتقدون أن الْمَسِيحَ لم يأتِ بَعْدُ وهم ينتظرون مجيئه؟! والنَّظْرَة الْمُتَطَرِّفَة لبعض اليَهُودِ والَّتِي تُخالف ما جاء بالعهد الْجديد "الإنجيل" عن الْمسيح فهم ينظرون إليه بشكل شديد الْقسوَة، ويرون أنه لم

يولد من عذراء لم تتزوَّج ؟! ويَتَّهِمون زُورًا مَرْيَمَ الْعذراء بأنها استسلمت للغِوايَة؟! وأنَّ الْمسيح اكتسب بعض الْقوى السِّحريَّة الَّتِي مكَّنَتْه من أداء بعض الْحِيَل الْمَاهِرَة!! وَيَزْعُمُون أيضًا أنه شنق، وأُخْفِيت جُثَّتُه لِيَتِمَّ اكتِشَافُها بعد ثلاثَة أيام!!. الْمسلمون ينظرون باحترام شديد وحب للمسيح على الرَّغم من إيمانهم بأنَّ مُحَمَّدًا هو آخرُ الأنْبِيَاء، فهم يُقَدِّسون الْمسيح عيسى بن مريم باعتباره نبيًّا وليس ابنا لله؛ فالله مُنَزَّهٌ عن ذَلِكَ، كما يؤمنون بالْمُعْجزَة الَّتِي أتت بميلاد السيد الْمسيح ولا يشكون مُطْلقًا فِي طَهَارَة وبتُولِيَّة السيدَة مريم الْعذراء وأن معجزَة إلهيَة كانت وراء ميلاد السيد الْمسيح، دون وجود علاقَة بشريَة بين السيدَة مريم وأي رجل، كما أنهم لا يتشككون فِي صعود الْمسيح إِلَى السماء.. بل أن معجزَة الْكلام فِي الْمهد للمسيح لم يُثْبِتُها إلا الْقرآن الْكريم. وينتهي التّقرير إلى سؤال ناعم: كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات الأُخْرَى إِلَى نبي الإسلام مُحَمَّدٍ (صلعم)؟ لا أعرف لماذا هذا التقرير؟ وقيل لي إنه بسبب مجلة كاريكاتير فرنسية نشرت رسوما مسيئة للرسول (صلعم). وبرغم رفع قضية

ضدها، برَّأتها المحاكم الفرنسية. عرفت فيما بعد أنها صحيفة (شارلى- ايبدو) وهى تنشر كاريكاتير ساخر ضد الأديان بصفة عامة. لا أعرف كيف يفكرون وكأن فرنسا دولة مسيحية؟!

قُدِّمَ للمؤتمر تقرير بعنوان "السَّلَفيُّون.. الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة" جاء فيه ما معنى الأرثوذكسيَة؟ هَذَا هو السُّؤَال الأَوَّل الَّذِي يجب الإجابَة عليه قبل الدُّخُول فِي خِضَم الْموضوع. وبخصوص معنى هذه الْكلمَة "أرثوذكسيَة"، فالْمُتخصِّصون يعرفون أنها يونانيَّة الأصل، وأن لها معاني متعددَة أفاضت فِي شرحها الْقواميس والْموسوعات، لكنها فِي نهايَة الأمر تعني بالْمختصر الْمفيد السلفيَة.. ولأن كلمَة "سلفيَّة" ذات وقع إسلامي وجرس عربي فصيح حين تفرِّق بين "السلف والخلف" أو بين الأوائل والأواخر، أو بين الْمُتَقدِّمين والْمتأخرين، ولأنها ترتبط ارتباطًا وثيقا بتاريخ الْعقائد الإِسْلامِيَّة وحاضرها باعتبارها اسما لفريق من الْمسلمين عُرِفوا بأهل السلف، ولأنها تُشير إلى سيادَة اللُّغَة

الْعربيَّة، لهذه الأسباب ظل الْمسيحيون الْعرب يستعملون الْكلمَة بمنطوقها ومعناها اليوناني فيقولون الروم الأرثوذكس، الأرثوذكس السريان، الأقباط الأرثوذكس. وقد وُظِّف مصطلح "السلفيَة" لصالِح الاستخدام الْغربي أو الأمريكي تحديدا.. فإنَّه لم يعد وصفا لنفر من أهل الْعلم قرروا الالتّزام بالتّعاليم الأساسيَّة، أو الْعودَة إِلَى الأصول، وإنما غدا عُنوانا لدعوَة للعُنْف والتَّطَرُّف يَنْعَت "السَّلفيَّة الإسلاميَّة" بالتَّخلُّف والعنف والعداء للدِّيمُقراطيَة وبكل الشُّرورِ والْعِبَرِ. ورغم أن بعض الْغرب انتسب إِلَى مجال الْبحث والعلم إلا أنه لم يلتزم بالقدْر الْمُفْتَرض من الْحَيْدَة والْمَوْضُوعِيَّة؛ لذا فإنه كان فِي مُجْمَله بمثابَة صحيفَة ادعاء أشد حِرصًا على إدانَة الْمُتَّهم. خطورَة ذَلِكَ التّوْظيف اللُّغَوِي أنه يضع جميع الْمُتَدَيِّنين تَحْتَ تصنيف واحد بغير أيَّة تَفْرقَة بين معتدل ومتطرف!! الأمر الذي يكاد يوحي بأن الْمشكلَة الْحقيقيَّة تكمن فِي التّدين ذَاته، وهو معنى يُرَوِّج له الْبَعْض بإشارات مُتَبَاينَة الآن فِي فرنسا، ولأن الْعَمَلِيَّة بدأت كمحاكمَة تكلم فيها الادِّعاء وحده حتَّى بدت الظاهرَة الإِسْلامِيَّة كأَنَّهَا

من مواليد حِقْبَة السَّبْعِينَات الَّتِي شهدت ظهور عدد من الْجماعات الْمتطرفَة (التَّكفير والْهِجرَة، والْجِهاد) ويتجاهل تمامًا كل صفحات سجل الإحياء الإِسْلامِي مُنْذُ بِدَايَة الْقَرْن الذي يقف على رأسه نفر من السلفيين الْمُعْتَبَرِين مثل جمال الدِّين الأَفْغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا.

***

تعرَّفْت على مجموعَة من الْجَزَائِرِيِّين، كانوا مُنَظّمين ويُمَثِّلُون وحدَة.. بَعْضُهم ذو لِحْيَة كَثِيفَة ولكنهم جميعًا يلبسون الْملابس الإفرنجيَة، كان حديثهم عن تدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فرنسا فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين، بينما كانت من بينهم أصوات تطلب غلق الْملف، لأن ما حدث فِي الْجزائر باسم الإِسْلام جَعَل النَّاس تقول: ليت الْفتح الإِسْلامي لم يَصِلْ أرضَنَا؟! كانت التّركيبَة النَّفْسيَّة لْلْجَزَائِرِيِّين جَادَّة للغايَة وكأَنَّهَا لا تعرف التّفريج عن النَّفْس لا بالقول ولا بتقاطيع الْوجوه، فِي الْواقع كان لديهم عَجْزٌ عَاطِفِيّ عن التّواصل، اللُّغَة الْعربيَّة بينهم (حادَّة) ومخلوطَة

بالفَرنْسِيَّة. ويبدو أن الثَّورَة والجهاد الطويل وما بعد ذَلِكَ جعل هُنَاكَ مشاكل فِي الْبِنْيَة النَّفسيَة والعاطفيَة لَدَيْهِم.

جاء.. اليَوْمُ الثَّاني: وهو يوم اهتمام الْمؤتمر بالْملابس الإِسْلامِيَّة وبمظهر الْمُسْلِمين؛ لِذَا اهتم الْمُنَظِّمُون بتخصيص مساحات أكبر لِلْمَلابِس وعرضوا الْملابس الإِسْلامِيَّة للسيدات "دعوَة وير" أو ملابس الدعوَة، فاحتلَّت مساحات أكبر من أيَّة ماركات أخرى، كما عرضت ملابس صنعت فِي بلجيكا وفرنسا حتَّى تكون الْمرأَة الْمسلمَة كما يقول الْمسئولون "أنيقَة بدون أن تظهر خطوط جسدها- راقيَة دون أن تخالف ربها - مُتَرفِّعَة عن الْفتنَة". أثارتنى زوجتي حينما قالتْ إنَّ باحِثَة فرنسيَة مُهْتمَّة بالْبحث فِي (الْحِجَاب) أهدتْها حجابًا من قطعتين من الْقماش بألوان زاهيَة، ولكنها "كثيرَةُ الرَّغْي" وطلبَتْ منِّي أن أُسْعِفها باعتباري "سِيبَوَيه" الْفَرَنْسِيَّة كما سبق وأن أشعْتُ لها!

وجدتُ الْفَرَنْسِيَّة مرَّة أخرى أمامي، كانت في تايور ازرق باهت له جيب قصير.. لا أعرف كيف ظهرت لِي؟! وجدت السجائر، أخذت واحدَة دون استئذان، وقالت:

- منتول، نعناع .. ألازال موجودا هَذَا التّبغ السيئ!! .. أطفأتها.

- مسيو، هل أنت مسلم ؟

- نعم

- "الْحجاب" من وِجهَة نظرك هل أوجده الْمسلمون لمقاومَة الشَّبَق الذُّكُورِي لديهم - أم هو يمثِّل شيئا عقائديًّا؟ أَتُسَاعدُنِي فِي ذَلِكَ ؟! يمكن أُسوِّي الأمرَ معك مالياً- فعندي بحث عن جزور الدافع الجنسي، فالإسلام بعيد جدا عن اهتماماتي، وبخَاصَّة أن "الْحجاب" مختلف الشّكل بينكم – إني أحيانا لا أرى من الْمرأَة غير عينيها؟ !

- مجنونَة .. أن تبحثي في "الْحِجَاب أو النِّقاب" داخل دراسَة أكاديميَة عن الدَّافِع فِي الْجَرَائم الْجِنْسِيَّة، إنه واقع ديني.

أخذتْ سِيجارَة أخرى.. دون استئْذَان أيضًا.. أشعَلَتْها قالت:

- منتول، نعناع ألازال موجودًا هَذَا التَّبْغ السيئ!!

انْصرفَتْ وهِيَ تدخنها فِي نَهَمٍ ! أزعجني أُصبعها الْوُسطى الَّذِي أخرجتْه من خلف ظهرها قبل أن تنصرف!! ولكنِّي أخذتُ ثأري بتحويلها على بورحاب الجزائري لينْتَقِم بطريقَته من تَدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فَرَنْسَا- فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين أجهضه تدخل الْغرب لأرد َعَليْهَا وقاحتها، شاهدتها تباطئه بعد أن أخذت شنطة يدها من فوق المنضدة. كان العرض لايزال مستمراً من شنطتها الحمراء المكتوب عليها بالفَرنْسِيَّة: لماذا لا تفعل ما أراه فِي عينيك..؟

Pourqoi tu ne fates pas quelle est dans votre yeux!

فبورحاب من الرجال، الذين يفضل الجلوس مع الذكور، فإذا وجدت الأنثى؟!لعن ابو خاش الذكور!!لم يقتلها، ولكن رحب بها؟ تباطhها منتشٍ!

***

اليومُ الثَّالث: بدأ اليوم بِمُهَاتَرات بين الاتِّجاهات الإسلاميَّة بما يوحي بأن "الشَّيْطان" عرف الْمكان.. وبدأ الْوسواس بالسُّؤال: لِمَ نقدم الدَّنيَّة فِي ديننا؟ كانت الْبِدايَة من الْجزائريين .. وانضم لهم الْمصريون والإيرانيون. دون باقي الْجاليات الإِسْلامِيَة! لا يوجد إسلام فرنسي وآخر إنجليزي؟! يوجد إسلام واحد .. الإِسْلام لا يتلَوَّن بلَوْن الأرض؟! أن يَكُون عنوان الْمؤتمر "من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا" فهذا خروج عن الْمِلَّة؟! وَأْدُ الْفِتنَة محاضرَة موضوعها (ما هدف الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة ومحورها بل هدف كل الشَّرائع السَّماويَّة؟!) يقول الْمحاضر: النَّص صريح فِي القرآن..

يقرر بوضوح أنه الْعدل .. بناء على ذَلِكَ فإن النَّظر الإِسْلامِي الصائب والالتزام الأمين هو ذَلِكَ الَّذِي يمضي فِي التّطبيق سالِكًا طريق الْعدل والْحريَّة مبتدئا بمدارجه ومنتهيا إِلَى مقاصده، فقد ذكر ابن الْقَيِّم في (أعلام الْمُوقِّعين) :إن الله أرسل رُسُله وأنزل كتبه ليقُومَ النَّاسُ بالقسط، وهو الْعدل الَّذِي قامت عليه السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الْحق، وقامت أدِلَّة الْعدْل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثَمَّ شرع الله ودينه ورضاه وأمره. وابن تيْميَة هو الْقائل: إن أمور النَّاس تستقيم فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعدل الَّذِي فيه الاشتراك فِي أنواع الإثم- أكثر مِمَّا تستقيم مَعَ الظُّلم فِي الْحقوق وإن لم تشترك فِي إثم؟! واستشهد بمن قال: إن الله يقيم الدَّولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة، ولا يقيم الدَّولَة الظَّالِمَة وإن كانت مُسْلِمَة... ثم قرَّر أنَّ الدُّنْيَا تدوم على الْعدل والْكفر ولا تدوم مَعَ الظُّلم والإِسْلام.

لم يُعجبْنَا بالطَّبع أن تكون الخُلاصَة أن الله يقيم الدولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة ولا يقيم الدولَة الظالِمَة وإن كانت مسلمَة؟! فالدول الظالِمَة غير الْمسلمَة قائمَة؟ !

ولذا قال الْمُتحمسون: "اللَّهُ يفعل ما يشاء.."، وقال بعض الْمتخصصين: إن هَذَا رأي للمعتزلَة، يريدون أن يجبروا (الله) تجلى وتنَزَّه، على فعل ما يروه هم مثاليا؟! ولكنه لا يحيط به الإنسان علما. يملك الْقضاء والقدر، والعسر واليسر.. ويجعل ذلك كله فتنَة ليختبر النَّاس.

كذلك حدث خلاف حول الاستِشهاد بالْفَقيه الْحَنَفي "ابن عابدين" حين أفتى فِي حَلِّ نزاع اثنين على طفل أحدهما مسلم، والثاني غير مسلم حين حسم الأمر لصالِح غيرِ الْمُسلم لأنَّه ادَّعَى أنه ابن له، مُعْتَبرا أنَّ تنْشِئَة الطِّفل على حُريَة ولو على غير دِين الإِسْلام أفضل من تنشئته على الْعُبودِيَّة فِي ظِل الإِسْلام !!ولكني أُعجبْت به رغم قِدَمِه، فقد كان الرَّجل واعيًا بأهمِّيَّة قيمَة الْحُرِّيَّة عندما وَاجَه ذَلِكَ التّعارض بين الْقِيمَة والْمِلَّة..

عَادت الْفِتنَة بِوَرقَة عمل أثارت الْحَفِيظَة الْفَرَنْسِيَّة، الأَمر الَّذِي جَعَل الأمْن يَظْهر بِقَبْضَة شديدَة. كانت ورقَةُ الْعَمَل تتحدث عن "الاسْتِشْراق ودوره ضِدَّ الإِسْلام" حيثُ أرجعت تاريخ الاستشراق فِي بعض الْبلدان الأوربيَّة إِلَى الْقرن الثَّالِث عَشَر الْمِيلادِي، والسبب الرَّئيسِي الْمُباشِر الَّذِي دعا الأُوربيين إِلَى الاستشراق هو سبب ديني فِي الدَّرَجَة الأولى؛ فقد تركت الْحرب الصّلِيبيَّة فِي نفوس الأُورُبِّيين ما تركت من آثار مُرَّة عميقَة، وتَمَّ ربط ذَلِكَ باليونسكو.؟! لِتُصبح - مُفْتَريات اليونسكو - على الإِسْلام، نار الله الْموقدة؟! فما جاء فِي موسوعَة اليونسكو (تاريخ الْجنس الْبشري وتقدُّمه الثقافي والعلمي) وفي الْفصل الثَّالِث من الْمُجلَّد الثَّالِث:(الْحضارات الْكبرى فِي الْعصر الْوسيط) وهذه الْموسوعَة كَتَبَ فصُولَها : جاستون فييت وفاديم الييف وفليب وولف وجان نادر، والفصل الْعاشر من هَذَا الْمُجلد خاصٌّ بالعرب وقد سَوَّدَ كاتبُه صفحات هَذَا الْفصل بمِدَادٍ هو مَزِيج من التّشْويه لتاريخ الإِسْلام والافتراء على سيرَة نبي الإِسْلام وخلفائه الرَّاشدين. إنها مُحاوَلَة لإنجاز تاريخنا الطَّويل فِي

نَيِّفٍ و 350 صفحَة؟! (جاستون فييت) الْمؤلِّف الْفَرَنْسِي- فِي موسوعَة (اليونسكو) زعم أن الإِسْلام احتفظ فِي رُكن من أركان الْكَعبَة بالصَّنَم الرَّئِيسي للمَكِّيِّين ألا وهو الْحجر الأسود!! ويبدو أن (جاستون فييت) كاتب الْفصل الخاص بالإِسْلام كتب ما كتب على الأرجح وهو متوتر الأعصاب. فمن مزاعمه الَّتِي هِيَ أهون من أن يُرَدَّ عَلَيْهَا ادِّعاؤه أَنَّ الشَّرِيعَة الإِسْلامِيَّة حتَّى معظم الْقرن الأَوَّل الهجري لم يكن لها وجود بالْمعنى الدقيق لهذه الْعبارَة؟! ويحاول الْكَاتب أن يُسْنِدَ زعمَه بأَنَّ الْمظاهر الْفنِّيَّة للشَّرِيعَة لم تكن موضع اهتمام من جانب الْمسلمين، ومن ناحيَة أخرى ترتَّب على هَذَا وذاك أَنَّ الْمسلمين اضْطرّوا إِلَى انتحال الْقدْر الْكبير من النُّظُم الإداريَّة والقضائيَّة من الْبلاد الَّتِي فتحوها، ثم يُوَاصِل الْمستشرق الْفَرَنْسِي افتراءه فيَدَّعي أَنَّ مصادر الشَّرِيعَة الإِسْلامِيَّة هِيَ الْقانون الرُّومَاني الْبِيزَنْطِي والقانون الْفارسي السَّاسَاني وقانون التّلمود بالإِضافَة إِلَى الْقَوَانِين الدِّينِيَة الخَاصَّة بالْكنائس الرَّاقيَة.؟

ونَصِيحُ بالرَّفْض .

الإِسْلام كما تقول (موسوعَة اليونسكو) تركيب مُلَفَّق من الْمذاهب اليهوديَّة والْمَسِيحِيَّة بالإضافَة إِلَى التّقاليد الْقوميَّة الْوَثنيَة الْعربيَّة الَّتِي أبقى عَلَيْهَا كطقوس قَبَلِيَّة تجعلها أكثر رسوخا فِي الْعقيدَة؟

ونَصِيحُ بالرَّفض

تَزْعُمُ موْسوعَة (اليونسكو) أن الإِسْلام لم يُنْصِف أهلَ الذِّمَّة وأنَّ الإِسْلام عَمِل على أن يظَلَّ الْوضع الاجتماعي للذِّمِّيِّين وضعًا سَيِّئًا مَهِينًا، ويَسْتَدِلُّ الْكاتب بالجِزْيَة الَّتِي فُرِضَت ويرَاها ضَرِيبَة بَاهظَة أَثْقَلت كَوَاهِل الذِّمِّيِّينَ ثم يَزْعُم أن ازدياد انتشار الإِسْلام بين الذِّمِّيِّينَ أدَّى إِلَى تناقص الدَّخل من هذه الضَّرَائِب.

ونَصِيحُ بالرَّفْض

ويكون الْقرار الْجماعي السريع الرَّد على مفتريات (اليونسكو) ودائرَة معارفها ومحرريها من الْمستشرقين الَّذِين يغلب عليهم التّعصُّب، دون أنْ نعرف - كَيْف.. وَمَن ؟! أهو

مُجرَّد تفريغ! كانت الخِطْبَة بالفَرنْسِيَّة ومع الصَّيْحات الْمُتَتابِعَة لنا، وكون الْمركز الرَّئيسي لليونسكو بباريس ردَّ فِعْله على الْمُتَفرِّجين من الْفرنسيين وقد قُوبِل ذَلِكَ بمُضَايقات فرنسيَة بَدَت طبِيعيَّة من الأمن بالتَّأكُّد من أوراق الإِقَامَة، وعدم وجود هِجْرَة غير شَرْعيَّة، وعمل الْكَارِدُونَات بِحُجَّة النِّظام!! الأمر الَّذِي أدى لمناقشَة بيننا. وكان للسوريين رأي عاقل، يرى أنَّ فَرَنْسَا والغرب تقصد بالإِسْلام ممارسات الْمسلمين على الأرْض بينما نسوق لهم النَّصوص الْمُقَدَّسَة والعقيدَة، وهذه طريقَة لا تُفيد لأنهم غير مُلْزَمِين بنصوص عقائدنا – فإذا جاءت اللغة الْفرنسية فلْنَعِي أنَّنا نُدِير حِوارًا ولا نُكلِّم أنفسنا؟! اعْجِب إِمام الْمسجد الْكبير "مسجد ليون" الَّذِي حضر الْمؤتمر بما طرحه السُّوريون فأعلن أنَّ مِن الْكُتب الْمَعْروضَة، كتب تَرُدُّ على كل ما جاء فِي موسوعَة اليونسكو[6] وأنه قرأ بالأمس كتابا منها لـ د/ صوفي أبو طالْب

[6] اليونسكو- الاسم الْموجز الَّذِي اشتُهرت به وهو الْحروف الأولى للكلمات الَّتِي يتألف منها اسم الْمُنظمَة فِي اللغَة الإنجليزيَة إحدى الْمنظمات التَّابعَة للأمم الْمتحدَة للتربيَة والعلوم والثقافَة .. تأسست فِي عام 1946 لدعم التَّعاون بين الأمم عن طريق التّربيَة والعلوم والثقافَة، ولتعزيز الاحترام الْعالَمي للعدل وحكم الْقانون وحقوق الإنسان والْحريات الأساسيَة .وهى تعمل على إنماء التّبادل الثقافي بين الدّول وجعل الأعمال الْفنيَة والأدبيَة والفلسفيَة فِي تناول الشّعوب.

عن فِريَة أنَّ الشَّرِيعَة مُسْتَقَاَة من الْقانون الرُّومَاني، وقدّم شابٌّ فرنسي يُدعى (جون جورو) اعتنق الإِسْلام من 7 سنوات ليقرر بأنه سمح بتأسيس الْمعهد الْفَرَنْسِي للدراسات الإِسْلامِيَة، وهو معهد يهتم بالرُّوح الْموجودَة بالإِسْلام وليس بالشَّكْل كالْحِجَاب والْجِلْباب وبالتَّالي فهو أقرب للصُّوفيَّة وقال: بخاصَة، أننا أبناء مجتمع غربي تحكمه قوانين عَلمانيَّة وهذه الْحالَة من الشّفافيَة والسماحَة هِيَ الأفضل لمؤتمر شعاره "من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا" التّصوف - فيما أعتقد - قادر أن يَكُون سفير حقيقي للإِسْلام مَعَ الْعالَم .

***

اليَوْم الرَّابع: أصاب الْقلق بعض الْجاليات الإِسْلامِيَّة فِي باريس عندما صدرت مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة وعلى غلافها رسم كبير زعمت أنه يمثل النَّبي محمد – صلى الله عليه وسلم - وابنته فاطمَة، وزوجها علي بن أبي طالِب وتحت عنوان كبير "الْحياة الْحقيقيَّة لمحمد"، فالرَّسم ممنوع للأنبياء جميعًا فِي التّقاليد الإِسْلامِيَّة، ولكن الْبعض قرر أنها

ليست مجرد التّقاليد الإِسْلامِيَّة بل أن التّصوير محرم بالسُّنَّة!! وأدركت زوجتي بأننا محاطين بجوقة من المسلمين الشيعة. حينما احتد الخلاف حول: هل الرَّسم كالتّصوير؟! تركتُ الْمَكَان وزوجتي لنشاط اجتماعي آخر للمؤتمر انضممنا له وهو "زيارَة الْمرضى الْمسلمين من جميع الْجنسيات بمستشفيات فَرَنْسَا". كانت مجموعتنا تتكوَّن من 7 أشخاص أحدهم إيراني، وتوترت زوجتي وهى تتعرف على النساء معنا في المجموعة، حين أظهرن امتعاضا وعدم ترحيب بها من مجرد سماعهن اسمها (عائشة)؟!

علَّق الإيراني تَعْليقا مُرَوِّعًا بالنِّسْبَة لِي ونحن فِي باص زيارَة الْمستشفيات وهو يقلب، ويبحلق، ويقرأ فِي نسخَة من مجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة:

- هل لاحظتَ الشَّبه فِي الرَّسم بين وجه الرَّسول ووجه الإمام عَليّ؟!

أنا:

- نعم تكاد تكون الْملامح واحدَة فِي الْعيْنين والذقن، هل لهذا معنى؟!

قال:

- الرسم مدروس، ومجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة ليست سهلَة ولا خفيفَة إما أن يَكُون الرَّسام تأثر بالشيعَة أو يريد أن يشير لنظريَّة أنَّ لكل نبيٍّ وصِيًّا.

تدخَّلت لِبنانيَّة فِي الْمجموعَة، وكانت أوَّل لِبْنَانِيَّة مُحَجَّبَة أراها حتَّى هَذَا الْوقت فِي فَرَنْسَا؟! كانت ترتدي عباءة أنيقَة تشم فيها رائحَة الْعنبر، وحِجابا زاهي الألوان، كانت بدون مكياج وبكحل خفيف فِي الْعيون.

قالت:

- هذه أوَّل مرَّة تُرْسم فيها سِتَّنا فاطمَة، كيف حدث؟ ومن يجرؤ؟!

قلت:

- الرَّسم ليس فيه فحش أو تعريض، والفرنسيون لا نُعَامِلُهم بالنَّص الْمُقَدَّس لدينا، وهم يرسمون الرموز الدِّينِيَة الْمسيح، ومريم الْعذراء، والعائلَة الْمُقَدَّسَة وموسى!!

تلقَّيْتُ الْعِتَاب من الْعُيون حتَّى عيون زوجتي. وقف الْباص أمام مستشفى لعلاج السَّرَطَان، كانت معنا هدايا رمزيَّة، بدأ تلقين الأمَّهَات لصِغَارِهن عن كَيْفِيَّة تقديمها للمرضى بابتسامَة، تلقى الصَّغِير "علي" من أمه الْمأمُوريَة باستعداد مُرْضٍ، كان هُنَاكَ تعقيم قبل الدُّخُول عبارَة عن كيس نايلون يُلْبس على الْحذاء وجوانتي فِي اليد، الأطفال اعتقدوا إنها لعبَة! الألَمْ واليَأْس فِي عيون الْمرضى، لكنه عند مُرَافِقِيهم أضعاف مضاعَفَة؟! وجودُنا مَعَ الْفرحَة فِي عيون الأطفال وهم يقدِّمون الهدايا خفَّف كثيرا، النِّساء فِي الْمجموعَة لهن وقع السحر، فبينما الرِّجَال فِي صمت، كن هن فِي حركَة وثرثرَة وقُدرَة على تجاوز محنَة الْمرض الخبيث!! التّنوع فِي نساء الْمجموعَة من حيث اللغات

والجنسيات جعلهن يعملن فِي تناغم، زوجتي تحتضن زوجَة مرافقَة لزوجها الْمريض، هو ضابط مصري من الْمَظَلَّات لا أعرف كيف تستدعي زوجتي النَّص الْمُقَدَّس فِي حديثها فيكون نسمَة، بلسم شفاء، بردا وسلاما!! الْمؤمن مصاب .. ومع الْعسر يسر. ثقي فِي شفاء الله.

اللِّبْنَانيَّات يُدِرْن مَعَ الْمرضى أنفسهم الْحديث بعُذُوبَة وفُكَاهَة.. لقد ألغين من أذهانهن أنهم مرضى، فهل حروب لبنان الدَّاخليَة أعطتهن مَيْزَة الخِبرَة؟! كن فوق الْموقف بالنِّسْبَة للرجال الْمرضى الَّذِين بدون مُرافِقين، وَصَلْنَ معهم لِحَدِّ التّدْلِيل ومُسَاعدَة الْمُمَرِّضات، والْمُحايلَة لتناول الدَّواء والطَّعام.. وصل الأمر لحَدِّ الْعِنَاق والقُبلَة على الرَّأْس. قد يدخلنَ الْجنَّة بفعلهن!! أعتقد ذَلِكَ.. فأنا نوع من الْبشر لا أرى إلا اللهَ الرَّحيم. الْمرضى الآن أفضل، لمعَة الْعيون فيها بَصِيص أَمَل أيَّتُها الْمرأَة ما سِرُّكِ؟! لم يُسْمَح لنا ولم يكن لَدَيْنا كرجال نفس الْقُدرَة والهِمَّة مَعَ الْمَريضات!! كان سُقُوط الشَّعر كَأَحد أعراض هَذَا الْمرض جعلهن يرفضن مُجرَّد

الزِّيارَة والسَّلام فانشغلت النِّساءُ بالنِّساء والرِّجال معًا. انتهت الزيارَة، وفي الْباص انفجر نساء الْمجموعة فِي حنق ويأس ودموع، سمعن أكثر، ورأين أوضح، وتألَّمن أعمق. فالعلاج الْكيماوي يضعف النَّظر، ويؤثر بشدَّة على وظائف الْكبد، وكان موضوع فقد الإخصاب الأكثر تأثيرا !

زوجتي:

- بعد اللي شفته لسه حتدخن؟!.. ارمي الزفتة دي.

كانت تقصد السيجارَة

***

وزعوا علينا أوراق النَّهايات، كما يحدث فِي ختام الْمناسبات، كان فيها التّبشير بفقه الْغربَة، فقه الضرورَة، فقه الأقليَة، وشعرت بالغربَة، تمسكوا معلنين فِي أوراقهم، بمبدأ الْمجتمع الْمحتشم، ويعتبرون أن الاحتشام هو الأصل والقاعدَة فِي الْمجتمع الإِسْلامي، وأن الْفصل بين الْجنسين لا أصل له فِي التّعاليم! وإنما هو سلوك نابع من التّقاليد، بالتّالِي فإن الْمحاضرات والندوات والعمل تتم بمشاركَة من الْمجتمع

دون حائل أو عازل، ودون خلوَة بطبيعَة الْحال. جعلوا الْحجاب فقط شرط لدخول الْمسجد وأداء الصلاَة؟ على المرأة المسلمة المطرة، شجعوا الانخراط فِي الْمحيط غير الإسلامي، والْمنطلق الأساسي لفقه الأقليَة هو كيفيَة تطبيق شريعَة الله وتعاليمه، ليس على مستوى الدولَة، ولكن فِي إطار الْجماعَة الصَّغِيرَة الْمسلمَة، ثم صياغَة فقه بنائي لا يقطع صلَة الأقليَة بالْمجتمع، ولكن يقيم هذه الصلَة على أساس من الإدراك لطبيعَة وضع الأقليَّة وسط محيط الأغلبيَّة مِمَّا يضيق أحيانا من خيارات الأقليَّة. تصبح الخيارات الآن ليس بين حلال ومنكر، ولكن بين منكر ووضع آخر أشد إنكارا، وهو وضع تعرض له الأصوليون ودعوا فِي تلك الْحالَة الأخيرَة إِلَى الإبقاء الْمؤقت على الْمنكر تجنبا لوقوع ما هو أسوَأُ منه وأنكَرُ. فمثلا في نطاق الْمعاملات هُنَاكَ قضايا كثيرَة تصادف الأقليَّة الْمسلمَة: ماذا يفعل الْمسلمون الذين يشتغِلون فِي الْمطاعم وليست لديهم فرص عمل أخرى بينما تقدم هذه الْمطاعم لحم الخنزير أو النّبيذ وغير ذَلِكَ مِمَّا هو محرم شرعا؟ هل يستمرون فِي أعمالهم ويقدمون هذه

الْمحَرَّمات للناس؟ أم يتركون تلك الأعمال ويقعدون عاطلين؟ كانت الإجابَة: يستمرون فِي أعمالهم، ويقدمون هذه الْمحرمات، ولكن لا يشربون ولا يأكلون، بل مطلوب منهم ألا يغشوا فيما يفعلون؟!

وجاءت تفسيرات أخرى.. كل الدّول الَّتِي ترتبط بالْمسلمين بمعاهدات أو مواثيق ولا تقوم بدور الْمحتل أو الْمعتدي هذه الدّول جميعها هي دار عهد وأمان من النَّاحيَة الشّرعيَّة، وليس لأحد بأي حال أن يصنفها بحسبانها دار حرب، فواحد من أكبر أئمَّة الْمسلمين هو الإمام الشّافعي قال: إن الأصل فِي الأحكام أن الدُّنْيَا كلها دار واحدَة. إن نصوص الْقرآن دعت إِلَى مسالْمَة كل الْمسالمين ونهت عن الْعدوان على الآخرين، ونضيف هُنَا أن تلك النَّصوص قررت أن الله سبحانه وتعالى خلق النَّاس مختلفين لِحِكمَة أرادها وقرر فِي الْقرآن أنه خلقهم شعوبا وقبائل كي يتعارفوا، لا أن يتعاركوا، أو يتغول طرف على آخر. وأن الإسلام مُنْذُ نزل أقام سلاما

مَعَ مخالفيه حين اعترف بالديانات السَّابقَة من مسيحيَة ويهوديَة واعتبر أتباعها أهل كتاب .

***

كان شرح مصطلح "الجهاد" مهما وواضحا وبعيدا عن استخدام الْمصطلح لانطباعات الآلَة الإعلامية الْغربية الَّتِي دأبت على تصوير الْجهاد باعتباره فزاعَة تخيف الْعالم وحربا مقدسَة ضد الآخرين لا يخرج منها الْمرء إلا قاتلا أو مقتولا. الجهاد الإِسْلامِي الذي نعرفه فِي ديننا شيء أكبر بكثير من الْحرب الْمُقَدَّسَة فِي الْمفهوم الْغربي، هو ليس قتالا ضد الآخر ولكنه يبدأ جهادا للنفس ضد الأهواء والشهوات والشرور وينتهي جهادا ضد الظلم وينتهي جهادا ضد أعداء الله الذين يحاربون الْمسلمين ويفتنونهم فِي دينهم. لقد جاء رجل إِلَى النَّبي عليه الصلاة والسلام يستأذن فِي الْجهاد، فسأله النَّبي: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد. ولأن الْمسلم يعترف أنه يمكن أن يجاهد بقلبه ولسانه وماله كما يجاهد بنفسه وسلاحه، فقد قال فقيه كبير هو الْحسن

الْبصري: إن الرَّجل ليجاهد وما ضرب بسيف يوما من الدهر.

كان هُنَاكَ اعتراض على مخاطبَة الْمسلمين وكأنهم من همل الْبشر الجهلَة الذين لا يعرِفون ولا يحترِمون الْقانون الدولي الْحاكم للجماعات الإنسانية الَّتِي تعيش على هَذَا الْكوكب لأن لهم مرجعية أخرى هي الْقانون السماوي الأعلى، يناقض ما يطنطن به فقهاء الْقانون الْغربيون تحت مسمى الْقانون الطبيعي ويعتبرونه مرجعية كثير من الْمبادئ الْقانونية الْعامَّة، لأن الْقانون الطبيعي ذاته نابع من تراث الإنسانية ومفاهيم الأخلاق وهِيَ دوائر تستمد وجودها من الأديان السماوية، ثم أننا لا نعتبر أن الاعتزاز بمرجعية الشّريعَة الإِسْلامِية تنفي فكرَة الْقَوَانِين الْوضعية الَّتِي تسير شئون النَّاس وتحقق مصالحهم. إن الْعالم الْغربي لم يعرف فكرَة الْقانون الدولي ولا الْقانون الْبحري إلا فِي الْقواعد والْمبادئ الَّتِي أرساها الْمسلمون، وقدمت قائمَة بست عشرَة

رسالَة دكتوراه فِي مصر وحدها حققت هذه الْمسألَة وأصلتها بينها خمس رسائل على الأقل لمسلمين فِي فرنسا ذاتها .

"الْجزيَة" و "أهل الذمَة" استوجبا بحثا فِي أوراق خاتِمَة الْمؤتمَر، جاء فيه: الذمَّة فِي اللغَة الْعربيَّة وفي مفهوم الْفقه الإِسْلامِي تعني الأمان وهِيَ لا تربط بأي معنى على الْعكس كان الْعربي يمتدح الْقوم بأنهم "لهم ذمَّة". وفي كلامنا الْمعاصر إذا استحلَفنا شخصا بأمر عزيز قلنا: بذمتك. إذن الذمَّة ليست أمرا مذموما. فالذمَة (عقد) سنوي لم يعد يعقد مُنْذُ قرون طوال، فقد صار النَّاس يعلنون الْحرب معا ولا يدافع بعضهم عن بعض مُقابل ضريبَة سنوية هِيَ الَّتِي كانت تُسمَّى "الْجزيَة" وبالتَّالي فلا معنى أصلا لطرح هَذَا الأمر من الأساس. ففي الزمن الَّذِي كان فيه تقليد "الْجِزيَة" معمولا به كان هُنَاكَ أيضا "الخراج" وسيلَة من وسائل تمويل الدخل الْعام الَّذِي ينفق منه على الْمنافع الْعامَّة ومتطلبات الدفاع، فالجزية والخراج هما: الضرائب الْعامَّة الَّتِي يدفعها الْمسلم تحت اسم الخراج وغير الْمسلم تحت اسم

الْجزيَة. وقد أسقط عمر بن الخطاب "الخليفَة" الْجزية عن أهل قبيلَة (تغلِب) الَّتِي كانت من كُبْريات الْقبائل الْمسيحية فِي الْعراق. كما أسقطها عن الشّعوب غير الْمسلمَة فِي آسيا وأسقطها عن بعض نواحي أنطاكيَة فِي مقابل بعض التّسهيلات (اللوجستيَة) الَّتِي تعهدوا بِهَا لأي شيخ ضعف عن الْعمل أو إصابته بآفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت عنه الْجزية وعِيل (حصل على راتب) من بيت مال المسلمين. وعندما وجد الخليفَة عمر بن الخطاب يهوديا (شحات) وعرف منه أنه لا يملك شيئا ولا يستطيع دفع الْجزية أعطاه من ماله الخاص. ثم أخذه إِلَى خازن بيت الْمال (وزير الْمالية) وأمره أن يُسقِط عنه وعن أمثاله الْجزية، وبعده بزمان كتب الخليفة عمر بن عبد الْعزيز إِلَى نوابه فِي الأقاليم والْبلاد: إن كان عندكم من أهل الذمَة مَن كَبُر سِنّه وضعُفت قُوَّته وولّت عنه الْمكاسب فأَجْروا عليه رزقا (رواتب) من بيت مال الْمسلمين .

رجعنا في نهاية المؤتمر وقد اكتسبتا بعض الصداقات الجديدة، كان يجلس بجواري في الطائرة ابورحاب الجزائري، أما زوجتي فجلست مع مجموعة "دعوة وير" من النساء اللاتي انضممن لها في المؤتمر، لم يكن السبب الود والعشم بقدر ما كان بسبب ابننا علي، فقد كان لهؤلاء النساء أطفال فى سنه. تجرأت وقاطع بورحاب وسط رغيه المزعج، وفى دعابة قلتُ:

- لم ألمحك في المؤتمر منذ عرَّفتك بالفرنسية، هل قتلتها؟

قال:

- تقصد "دانيل"؟ إنها رائعة، إنها ليست سجاح؟! دانيل مخلصة، وجادة في بحثها عن الحجاب وهى من الذين يدرسون الشرقيات. اشتغلتُ على ما قاله "ويلسون" فِي كتابِه وانتهيْتُ إِلَى وجود علاقَة بين الدَّافِع الْجِنْسِي والْمَلابِس إذ إنها ممكن أن تقوم بدور الْمثير، وأن ذَلِكَ أدى إلى تغيير ملابس الْغانيات

على مرِّ العصور. وقُلْمت بدراسَة مَيْدَانِيَّة كدراسَة الْملابس الَّتِي كانت تلبسها الْمرأَة عند وقوع جرائم جِنْسِيَّة عَلَيْهَا (هتك الْعرض أو الاغتصاب) وبقى لديها هاجس عن الحجاب: هل أوجده الْمسلمون لمقاومَة الشَّبَق الذُّكُورِي لديهم - أم هو يمثِّل شيئا عقائديًّا؟ أليس الطرح مثيرًا؟

قلت في نفسى كل المغرب العربي مثير؟ فقد عرَّف إدوارد سعيد "المستشرق" بأنه كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو بإجراء لبحوث عن موضوعات خاصة بالشرق، سواء أكان ذلك في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أم علم الاجتماع، أم التاريخ، أم فقه اللغة، وسواء أكان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أم الخاصة، فالاستشراق إذن وصف لهذا العمل، من الواضح أن كثيرا من الدراسات الاستشرافية كانت بدافع من إرادة الهيمنة، لذلك فإن إدوارد سعيد يقر أن المصطلح لم يعد يتمتع بتلك الحظوة القديمة، إذ

يفضل المتخصصون الآن استخدام مصطلحات بديلة كـ"الدراسات الشرقية."

ويبدو أنى سرحت، فوكزني الجزائري وهو يصيح:

- هل تعاني من ضيق تنفس بسبب الطيران؟

تنبهت. قلت له:

- ولكن قل لي مَن سجاح؟ أهي الجسد المريح بفرنسا يا رجل؟!

شخط ولمعت عيناه وانتفض عرق المليون شهيد في جبهته وقال:

- أنت لا تعرف الفرنسية ولا العربية ولا تقرأ... ألا تعرف حكاية "سجاح بنت سويد"، المرأة التي ادعت النبوة في اليمامة مثلما ادعى النبوة (مسيلمة بن حبيب) المعروف بـ "الكذاب" في بنى تميم؟ في أوقات "حروب الردة" زمن خلافة أبي بكر الصديق زعمت سجاح أن الوحى زارها ونزل عليها بالنبوة، فتردد أهلها في تصديقها.. وإن كان بينهم من أقتنع

بها وسار خلفها.. وحين سمع مسيلمة بحكاية سجاح أزعجه جدا أن تقاسمه امرأة النبوة وتشاركه إياها فتدبر الأمر مع رفاقه الذين أشاروا بأن يجتمع معها وينظر في أمرها، فأجتمع الاثنان في خيمة بقى خارجها أنصار كل منهما ولم يدخها إلا مسيلمة وسجاح، فشلح لها سرواله؟! وقال لها: "ألم تر أن الله خلقنا أفواجا .. وجعل النساء لنا أزواجا .. نولج فيهن إذا شئنا إيلاجا ونخرج منهن إذا شئنا إخراجا". فضحكت سجاح ولم تصفعه؟! وقبلت دعوة مسيلمة إلى الفراش الذي كان قد أعده داخل الخيمة.. فأشبع رغبتها وأسعدها وأرادت البقاء معه كزوجة مقابل أن تتنازل له عن النبوة؟! فخرج الاثنان من الخيمة وخطب مسيلمة سجاح من قومها وحين سألوه عن المهر؟! قال لهم: قد أعفيتكم من صلاة العصر؟

الفصل الثالث

من ترك التّدبير فهو فِي راحَة، وقال سهل بن عبد الله: ذروا التّدبير والاختيار فإنهما يكدران على النَّاس عيشهم. وقيل: من لم يدبر دُبِّرَ له

-أتريد قهوَة؟

"يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. أنا... أنا... أنا أهوى"

يأتي الصوت فيحتال عليّ. أهو من "زبيدَة" الْغائبَة؟ أم هو صوت زوجتي؟ يخذلني صوتي فلا يخرج بالرد. وتأتي الذكريات.

وضعت زوجتي الْقهوَة الْجاهزَة فِي فنجان، ووضعت جواره ملعقَة وقطعَة سكر، تركتْه أمامي.

أما "زبيدَة" الْمَغْرِبية فهِيَ ترفض هَذَا الإيجاز، صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. بل إنها غيرت

قميصها - فجاءت بقميص نوم أصفر؟! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبن، قالت:

- قهوتي مُرَّة يمكن أن تتناول معها التّمر.

وإذا شربت الْماء، رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد، إنها امرأة تفرد ما عندها. تلبس كل ما عندها. وتقول كل ما تعرف.

زوجتي تلف وتدور بـ "الأستوديو" كالفراشَة حائمَة على النَّور، تراود الصَّغِير على كوب اللبن، وتغسل الأواني وتكلمني من باب التّسليَة.

- نظرية جديدَة تتحدث عنها باريس، الْولهة بالفراعنَة تقول: "إن رُفَات سيدنا يوسف لم تغادر مصر وإنه دفن بِهَا ولا تزال مومياه فِي الدور الأول من الْمتحف الْمصري بميدان التّحرير وإنها لم تخرج مَعَ موسى وقومه، ولكن الْمومياء وضعت وحفظت تحت اسم "يويا" وهو الاسم الذي عرف به فِي حياته مشابها لاسم "يوسف."

اهتمت زوجتي بالأمر بحكم دراستها للآثار – ولأني لم أسمع منها شيئًا عن الْفراعنَة طول معاشرتنا فقد أرجعت ذَلِكَ للفراغ. وتستمر وقد بدأت تقليب الطعام وتقطيع الْبصل.

- يويا هو يوسف وهو جد أخناتون، عالم النَّفس اليهودي فرويد اعترف فِي كتابه "موسى والتّوحيد" أن الديانَة اليهودية منقولَة عن عبادَة أخناتون، وأن اليهود حملوا معهم عندما خرجوا من مصر تعاليم ديانَة أخناتون!! أتحب الْكارفس فِي السلطَة؟

عاد النَّبي يوسف ليطل بسيرته - اللهم اجعله خيرا- ؟ !

فحاولت أن أغير الْموضوع . .

- فقدت 8 درجات من درجات الْمواظبَة والْحضور، وعبثا حاولت حل الأمر، فرغم حقي فِي غياب 5 أيام خلال التّيرم الثاني فإنهم تمسكوا بأني لم أخطر بالانقطاع مسبقا.

- ارمِ وراء ظهرك. كان احتفالا جميلا، قل "اللهم إنَّا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم

بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذَلِكَ من حيث لا نعلم بما لا نعلم". وبعدين يا علي مش حنروح الْبارك إلا لما تخلص اللبن.

- وزادت الطينَة بلَّة. حين وزعتِ الْبحوث.. وأنا غائب فلم يبق إلا بحث وقع فِي نصيبي قصرا وبالغصب عنوانه "النية الإجرامية فِي جرائم الاغتيال السياسي" لا أعرف لَه أول من آخر.
- من ترك التّدبير فهو فِي راحَة، وقال سهل بن عبد الله: ذروا التّدبير والاختيار فإنهما يكدران على النَّاس عيشهم. وقيل: من لم يدبر دُبِّرَ له.

ضحكت. مالت برأسها وقلقلت الْحروف فِي النَّطق ونظرت لأعلى تستفتي السماء.

استمرت بين الْكلام. وتقليب الطعام.

- تعرف يا زوجي الْعزيز، يوسف أو يويا أنجب بنتا وولدا اسمه آي، وقد تزوجت ابنَة يويا أو سيدنا يوسف، أحد فراعنَة مصر وهو "أمنحتب الثالث"،

وقد أنجبت له ثلاثَة أبناء هم: أمنحتب الرَّابِع وأخناتون، وسمنخرع، الذين تولوا حكم مصر. أما الابن فهو الْملك "آي" الذي حكم حوالي 4 سنوات وعلى هَذَا الأساس فإن يوسف يعتبر جدا لأخناتون والجد الأكبر للملك توت عنخ آمون.

أحيانا أشعر بأنى لم أسافر من مصر لباريس، وإنما هاجرت من مكة للمدينة المنورة؟! والآن أركب عجلة الزمن للفراعنة! أساير الأحوال، فأسأل زوجتي:

- متى كان سيدنا يوسف عليه السلام فِي مصر؟

- بالضبط لا أحد يعرف، ولكن الْعلماء لهم اجتهادات جيولوجية، فمن بين هذه الاجتهادات "إن الْبركان الذي انفجر فجأَة فِي جزيرَة سانتورتني اليونانية سنَة 1628 قبل الْميلاد، أدى إِلَى انتشار سحب الْكبريت فِي السماء على ارتفاع 200 متر فغطى ما بين تركيا ودلتا مصر، وأدى ذَلِكَ إِلَى الْجفاف وإلى الْبرودَة الشّديدَة، فماتت النَّباتات وجاع النَّاس فِي

الْعصور الْقديمَة". قبل ذَلِكَ بقليل تنبأ يوسف عليه السلام لملك مصر بأن سنوات من الْجفاف والجوع سوف تسود مصر، ولذلك نصح الْملك بأن يقيم صوامع الْغلال حتى لا يجوع النَّاس فِي سنوات الْجفاف، وفي هذه السنوات جاء إخوة يوسف إِلَى مصر، ومعنى ذَلِكَ أن يوسف عليه السلام ربما عاش فيما بين 1900 قبل الْميلاد و 1350 قبل الْميلاد، فِي عصر الْملك "خبان" أقوى ملوك الهكسوس.

- الْقول بأن ذَلِكَ نظرية يحتاج لإثبات علمي؟
- الرُّجوع لعلم الْمومياوات، وأوجه الاختلاف بين "يويا" سيدنا يوسف والفراعنَة فِي "النظرية" تتركز فيما يلي: لم يعرف اسم يويا بين الْمصريين، فهو اسم غريب عنهم. أذناه لا يشبهان آذان الْفراعنَة فلم تثقبا. أنفه معقوف. شفتاه قويتان. فكه بارز. وأخيرا فإن كل ملوك الْفراعنَة عند دفنهم وضعت

أيديهم فوق صدورهم أما يوسف – أو يويا - فقد وضع يديه وراحَة كفيه على عنقه.

تستمر زوجتي:

- أنا عملت كل حاجَة، وحأخرج مَعَ علي عشان هو ولد شاطر وشرب اللبن، وبابا يقعد يذاكر، تعرف النَّهاردَة يا علي كام فِي الشّهر؟! أنا عارفَة وعلى الله لما نِرجع نلاقي بابي خرج؟ !

ارتشفت آخر شفطَة فِي فنجان الْقهوَة الْمُرَّة أيضا!! وقد لاحظت أني شربتُه بمرارته دون سكر على عكس مزاجي! قلبت الْفنجان ولكن من يقرأ الغيب الْمحوّج؟! بدأتُ أُفكِّر فِي الْبحث بضجر. الاغتيال السياسي يظل بطلا لمعظم الأعمال الرَّوائية. هل يوجد أدب للجريمَة السياسية؟ ويظل نداء قيصر الْقديم: (حتى أنت يا بروتس) فِي حاجَة لتفسير؟ قال الْمتطرف الإِسْلامِي: نعم لم أعرف نجيب محفوظ، ولم أقرأ له، ولكنه خنجر فِي جسد نظام قبل أن يَكُون غرسَ خنجرٍ فِي جسد إنسان!! وقال قبله "مانسون" حينما سأله أتباعه: ما

فائدَة قتل "شاروت تيت" نجمَة الإغراء فِي هوليود وفي وقت حملها؟ ! قال: لقد حان يوم "هيلتر سكيلتر" وهي كلمَة رمزية تعني بدء جرائم الْقتل انتقاما من الْمجتمع، بمعني لا يهم مَن الْمقتول وإنما الْمهم الأثر نتيجَة الْقتل؟! لأن الْقتل هو الْقتل أمام الْقانون، ولأن الْعدالَة عمياء لا تعرف ألوان الْقتل ولا تهتم ببواعثه، من هُنَا كانت أهمية الأدب بالغوص إِلَى معاني هَذَا الْقتل الْفكري والْمعنوي عبر موت إنسان ما. (فالاغتيال ليس قتلا فقط وإنما موقف غير عادي، أن تقتل إنسانا ربما لم تلتق به فِي حياتك، أتقتل الرَّجل أم تقتل فكرته؟ أو هو خنجر فِي جسد نظام قبل أن يَكُون غرس خنجر فِي جسد إنسان. لا يهم مَن الْمقتول وإنما الْمهم الأثر، نتيجَة قتله) ولكن الأديب يجاوز هذه الاعتبارات كلها ويحدق عبرها، وينسج عَلَيْهَا ويفسر ما حدث بشكل غير مباشر فإذا الذي قاله غاية فِي الدهشَة والغرابَة، يقوله لأكثر من سبب وعلى شفاه أبطاله الْوهميين. ولهذا فقد وجد اتجاه فِي علم الاجتماع الْجنائي وعلم الاجتماع السياسي فِي اعتبار الأدب وثيقَة حياتية تحتاج إِلَى تفسير. وها أنا أحاول أن أفعل ذَلِكَ. . فهل

يروق للأستاذ الْمشرف أنّ أضع الْقانون والأدب فِي زجاجَة واحدَة؟ شكسبير فِي رواية (ماكبث) يجعل جنون (ليدي ماكبث) عقابا على تآمرها على اغتيال الْملك (دنكان) ويقول: (عطور بلاد الْعرب كلها "يقصد مصر والشام" لن تطهر رائحَة الدماء من يدها الصَّغِيرَة) ولدينا أمثلَة عربية كثيرَة من تاريخ الاغتيالات، كان اغتيال عثمان ومِن بعده الإمام علي إيذانا بسقوط خلافَة الرَّاشدين وبدء الاغتيالات فِي الْعصر الأموي ومن بعده الْعباسي إيذانا بالشر والخراب، وسقوط الإمبراطورية الإسْلامِية، وهكذا فإن شكسبير قَرَنَ الْجريمَة السياسية بسقوط الْحضارَة والشر. إذا كانت وقائعها اغتيالات دموية وليست مجرد معارضَة سياسية بالرأي والْحجّة!!

أعاود التّفكير فِي الْبحث بمراجع جديدة. يُلقي كامو بقية ضوء ويركز عدسته الْمكبرَة. فِي مسرحيته "العادلون" تروي حكاية فئَةٍ من الْمثقفين الْمخلصين الذين يقررون اغتيال الدوق الْكبير لأنه يسيء إِلَى الْبلاد، يجدون فِي موته

واجبا إنسانيا. هم يمقتون الْقتل، ولكنهم فِي محاكمتهم له فِي تنظيمهم السري، حكموا عليه بالإعدام.

دورا: إننا مجبرون على أن نقتل، أليس كذلك؟ وكاليالِيف هو الذي سينفذ الاغتيال. طيلَة عام عشنا من أجل تلك اللحظَة. دقيقَة بدقيقَة، ساعَة بساعَة، أعطينا للدوق فرصه. وحاولنا فرملَة طغيانه، ولكن دون جدوى، لسنا وحدنا الْحانقون وإنما كل الْوطن، كاليالِيف سيعمل إرادَة الْوطن؟

فهل يمكن للقانون أن يقف بجوار كاليالِيف الَّذِي سيعمل إرادَة الْوطن إذا ما أطلق رصاصَة على الدوق؟ ما يسمى "الْجريمَة السياسية" أي ما يرتكبه صاحب الرَّأي أو الْمذهب السياسي مخالفا به الأوضاع السياسية الْقائمَة والَّتِي يحميها الْقانون ليست فِي الْواقع من قبيل "الإجرام" الَّذِي تصدق فِي شأنه وظائف الْعقاب الأخلاقية منها أو النَّفعية، فمن النَّاحية الأخلاقية أي "العدالَة" لا يمكن الزعم بأن عقاب الْمجرم السياسي فيه تحقيق الْعدالَة عن ذنب ارتكبه وتهدئَة بالتّالي

لشعور السخط الْعام، لأن هَذَا الشّعور إن وجد فإنما يوجد عند فريق فقط من الْمجتمع لا يوافق الْمجرم على معتقده السياسي، بينما شعور الإعجاب هو الْقائم لدى فريق آخر مؤيدا له، وقد يشكل الْغالبية فِي بعض الظروف. ومن ناحية الْمصلحَة الاجتماعية فإن مجرد تقرير عقوبَة للجريمَة السياسية قلما يصد صاحب الرَّأي السياسي عن مواصلَة نشاطه فِي سبيل تحقيق أهدافه، كما أنّ عقاب الْمجرم السياسي بالفعل لن يثنيه عن رأيه أو رسالته الَّتِي يؤمن بِهَا، ولن يمنعه بالتّالي من الْعودَة إِلَى تكرار محاولته متى سمحت له الْفرصَة.

ويذهب كاليالِيف بالقنبلَة، مترصدا مرور عربَة "الدوق الْكبير" لكنه لا يرمي بالقنبلَة. لماذا؟ لأن أطفالا كانوا يرافقون الدوق فِي عربته، ولأنه ليس من حقه أن يقتل الأطفال.

كاليالِيف: لم أحلم قط بشيء كهذا. أطفال، أطفال بالذات. هل راقبت قط عيون الأطفال؟ تلك النَّظرَة الْحزينَة الْمباشرَة.

إذن اصطدم كاليالِيف لحظَة الْقتل بـ "هول" الإنسان الْعادي داخل نفسه وسقطت عنه فكرَة الْقتل للأبرياء، سقط سحر التّنويم السياسي الذي يبرر أحيانا لأصحاب الْعقائد إباحَة الأمر! ألهذا نهض الاتجاه الليبرالي؟ فقال السياسي الْفَرَنْسِي "فرانسوا جيزو" بضرورَة استبعاد "الإعدام" الْعقوبَة الْعظمى من هَذَا الْمجال والتّرفق بالْمجرم السياسي بوجه عام بحيث لا يخضع فِي الْعقاب لما يخضع له الْقتلَة السَّفاحون، واللصوص، وقطاع الطرق، وأسس هَذَا على أن الْجريمَة السياسية لا تشكل ذنبا أخلاقيا. إذن فلا محل لفكرَة الْعقاب الَّذِي يعني التّكفير عن الذنب إرضاء لشعور الْعدالَة.

ثم جاء "جاروفالو" قُطب الْمدرسَة الْوضعية بعد ذَلِكَ وأدلى برأْيه فِي الْجريمَة السياسية من وِجهَة نظر "علم الإجرام"، فجعلها نموذج "الجرائم الْمُصطنعَة": بمعنى أنه

أخرجها من نطاق الْجرائم الَّتِي انشغل بِهَا "علم الإجرام" والَّتِي يُوصِي فيها هَذَا الْعلم بفحص الْمجرم من النَّاحيتين الأنثروبولوجية والْبيئية لتُبين الْعوامل الَّتِي أثَّرت فِي سُلوكه الإجرامي وتقدير نصيبه من الخُطورَة الإجرامية، كل ذَلِكَ تمهيدًا لاختيار ما يُلائمه من تدابير أمن الْمجتمع وحمايته من هذه الخُطورَة. ولا ريب فِي أن هَذَا الْمنطق الْعلمي يلتقي مَعَ الْمنطق الْعقلاني الَّذِي ساقه جيزو من حيث ضرورَة استبعاد الإعدام وكل عقاب أو تدبير انتقامي من نطاق الإجرام السياسي؛ لأن الاستئصال، أي الإعدام، عند بعض أقطاب الْمدرسَة الْوضعيَّة إنما هو تدبير لحماية الْمُجتمع من الخطورَة الإجرامية، وهو معنى لا وجود له فِي حالَة الْمجرم السياسي؟!

أتذكر زوجتي وهِيَ تقول: وبابا يقعد يذاكر. تعرف النَّهاردَة يا علي كام فِي الشّهر؟ ؟ أنا عارفَة. وعلى الله لما نرجع نلاقي بابي خرج. النَّهاردَة كام فِي الشّهر؟ !. إنه يوم ميلادي. إنها مناسبَة لا بد فيها أن أحلق ذقني!! أذهب للحمام

لأحلق ذقني، صورتي فِي الْمرآَة تؤكد أنّ الْعمر مر: تجاعيد تحت جفون الْعين، اللون الأبيض يزرع جذوره فِي الشّعر، ما في الْقلب يصغر عما بدا فِي الْوجه بعشر سنين!! أحان الْوقت لطفل آخر حتَّى لا أترك ولدي وحيدا؟ هل يترك الْقدر لِي الْقدرَة على اختيار متى يأتي الأولاد؟ هل إذا تركت زوجتي الْحبوب إياها، أو مجرد وجودي الذُّكُوري معها، يأتي بالْحمل؟ أم أنّ هُنَاكَ أشياء حدثتْ لدينا وبنا أعجبها الْوضع الْحالي! إن علي جاء واللولب موضوع ؟!ولذا تعاملنا مَعَ الْحبوب. أكانت هِيَ الْحقيقَة؟ أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه فكذبت الْعلم بالْكيد؟! أكان فِي عيني بيان الْفرار.. فخلعت اللولب بإرادَة منفردَة لها ما يبررها من خوف وضجر أنثوي وشبح امرأة أخرى .. أم هو استثناء الْعلم؟!..يا للنساء!

***

بالتلفزيون أمامي أعلنت السلطات بفرنسا عن شغب بغرب باريس من مهاجرين عرب اشعلوا النار في غفر

للشرطة بعد تطبيق القانون 190 بأربع وعشرين ساعة! لم أفهم، وبدأت البحث في القنوات المحلية.. هاهو مسئول بالبوليس الفرنسي يلقى بيانا: (إن العنف جاء من احتجاجات على القبض الذى تم لرجل تم تغريم زوجته لارتدائها النقاب، فأعتدى الرجل على الضابط الذى كان يحرر المخالفة، ولكن جموع من المواطنين والمقيميين من المسلمين زعروا لذلك فأشعلوا النار في حاويات القمامة في مدينة "تراب" حيث مكان الواقعة، ثم حطموا محطة للحافلات، مما أضطر البوليس لإطلاق الأعيرة النارية في الهواء للتفريق.) لم أفهم لماذا أوقف البوليس المرأة المنقبة في الطريق العام وغرَّمها وهى تسير؟ إن زوجتي وعلي بالخارج. أقوم في خوف للشارع للبحث عنهما. أشترى جريدة الليموند، فأجد المفاجأة ([قانون حظر غطاء الوجه في الأماكن العامة] وينص على:" أن أي امرأة تخالف حظر أغطية الوجه تعاقب بغرامة 216 يورو، ومن يجبر امرأة على لبس الحجاب أو النقاب يعاقب بضعف الغرامة، وفى حالة التكرار تكون العقوبة الحبس") ضربت زوجتي في مقتل؟ انهمر المطر

كالمعتاد، ولما كنت نسيت الامبريلا، وخرجت في ملابس عادية، فبسرعة عدت للمنزل بين القلق والخوف، أشباح هذا المنزل لا تفارقني ولكنه دبر لنا، أعود للبحث مضطرباً (عند شكسبير مثلا الْقتل أو الاغتيال السياسي شر، حُجَّة يُغطِّي بِهَا الإنسان أحيانا حُبَّه للسُّلطَة أو للظهور، وفي مسرحيته الرَّائعَة "يوليوس قيصر" لحظَة يقتل الْقيصر بين أصدقائه، ويرى بينهم "بروتس" الذي ربَّاه وجعله ينشأ فِي بيته! فلا يهوي إِلَى الأرْض ولا يلفظ أنفاسه إلا حينما يرى بروتس الذي يؤمن به يحفظ تعليماته عن ظهر قلب وقد سدَّد طعنته إليه إذ يقول: وأنت أيضا بروتس؟! فلْتَمُتْ قيصر إذن. إنَّه لا يُعاتب أو يطلب عقاب بروتس وإنما يقبل قدره. إذا كان هَذَا رأي بروتس معكم، هَذَا الرَّجل الذي أؤمن به، ويؤمن بي، هَذَا الرَّجل الذي أكل عيشي، وشرب نبيذي، إذن لا بُدَّ أن هُنَاكَ سببا مُقنعا لموتي فَلأَمُتْ إذن.!! لكن شكسبير يجعل قتل قيصر نذيرا للخراب، فالقتل عنده مَقرُون بالطبيعة الْغاضبَة والْمذهلَة، وبظهور شرورها كَرَدِّ فعل ضد شر الإنسان ويعبر عن ذَلِكَ بالسحرَة والنُّبوءات وانتشار الْبُوم،

لكن قيصر نفسَه يتجرَّد فِي لحظَة موته ويرى أن الْموت جزاء عادل! فهل الْقانون الْفَرَنْسِي لَه شفافية قيصر؟ لقد سحبت من الْوجدان الْقَانُونِي كلمات "ثورَة وكفاح وتمرد ومقاومَة" لصالِح مصطلح وحيد "إرهاب" ؟! إن بروتس وأنطونيو وكل الثوار ضد قيصر – ليس لهم من نصير فِي الْقانون الْحديث إلا الْجَبل، ليصيروا من الْمطارِيد. عُظماء التّاريخ هم مطارِيد الْقانون؟! الْمقاومَة الفلسطينية من مطارِيد الْقانون! الأكراد من مطارِيد الْقانون! الْغَجَر من مطارِيد القانون.

***

سمعتُ صَرِير الْباب وهو يُفتح. انطلق عَلي إلى أحْضاني وهو يَصِيح:

- بابي. . بابي، رحنا الْبارك.

احتضنتُه وقبَّلته، كان فِي عينيه حنان يكفي فرنسا. قبضت على لحظَة الْعذوبَة هذه. شعرت بأنَّه قطعَة مني كأن ما وراء هذه اللحظَة قبض الرِّيح ! لم ألْحَظ أن زوجتي أتت

بتورتَة وشموع وقداحَة جديدَة لزوم عيد ميلادي. ولكني تَنبَّهت لليونتها الإنسانيَّة حينما ارتدت قميص نوم قصيرًا بلون أصفر كناري وهَمستْ "سنَة حِلوَة يا حبيبي". كانت تُرَاوِد عليًّا بجَسارَة على أهمِّية النَّوم. وتحثُّه عليه بفسحَة جديدَة. والصغير مُستكين فِي أحضاني مُستمتع بلحظَة أبوَّة. استوحشتني، فاستملح التّمتع بِهَا، ولكن لم يقاوم كثيرا عند الْوعد بلُعبَة جديدَة كانت أعجبته.

"أتذكر. . صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش"، وفنجانين عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد. وصحن بِهِ بلح. بل إنها غيرت قميصها- عَلِّى أُغيِّر مِزاجي- فجاءت بقميص نوم أصفر؟ ! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبُن. . قالت: قهوتي مُرَّة يُمكن أن تتناول معها التّمر. وإذا شربت الْماء، رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد؟ "!

اللون الأصفر؟! لِيُساعد الله إذن الْقيصر. فالغواية تأتيه صفراء لامعَة!! أمنياتي للأصفر الْكناري ..أتمنى أن تُفرد ما عندها. تلبس كل ما عندها. وتقول كل ما تعرف. وتلقي بعلبَة الْحبوب!! هذه التي أؤمن بها، وتؤمن بي، هذه الَّتِي أكلت عيشي وشربت نبيذي، إذن لا بد أن هُنَاكَ سببا مُقنِعًا لـ

.....

.....

.....

.....

.....

هذه السطور البيضاء طريقة مهذبة اخترعها "إحسان عبد القدوس" في رواياته للكلام عن شيء مهم اسمه الغرام.. اوال ؟!

يالا لعبة الروايات، فليمت قيصر أذن ولأمت معه

الجزء الثاني

الفصل الأول

-1-

عاودت الانتظام اليومي بالْمحاضرات، فالتّيرم الثاني من الْمنحة الدراسية كان مكثف الْمنهج، كما أني كنت أتردد على مكتبة الْجامعَة كطريقَة للمذاكرَة، وأيضا لحل لوغاريتم الآثار الفرعونية الَّذِي وقع فِي حِجر زوجتي فجأة!!

الْقدر ساق صدفًا أخرى إنها الْفَرَنْسِية سريعَة الْحركَة، كنت أعتقد أن الْجزائري ذبحها إذ عرف أنها تبحث فِي الْحجاب عن جذور الدافع الْجِنْسِي؟! ولكن يبدو أن الْجزائريين يملكون من السماحَة وسعَة الأفق أكثر مِمَّا قدرت مَعَ فرنسا؟! كنا نلتقي فِي نظرات طويلَة تنتهي بأن يَغُضَّ أحدنا النَّظر وينصرف. كان من الْواضح أننا مدركون لمعرفتنا السَّابقَة، ولكننا مُصرُّون على نفيها! ولكن مَعَ كرم الْقَدَر، واعتياد الصُّدَف تبيَّن لِي أنها أطول مِمَّا قدرت، وأنها دخلت إلى موضة التّايير ولم تخرج منه، تاييرات أنيقَة بألوان مختلفَة، ودوما جيب قصير! أثناء وجودي بالْمكتبَة

أتذكر الْبحث فأُلملم الْكتب الَّتِي أعْتقد أنها مُفيدَة وأكتب.. (أندريه مالرو) يصف أجمل وأصدق وصف للجريمَة السياسية فِي رائعته "الوضع الْبشري" (تشن) يقتل إنسانا لا يعرفه، ولا يرى جسده أيضا، لأنه نائم تحت ستارَة السرير (ناموسيَّة) تلفه تلك الْكدسَة من الشّاش الأبيض الَّتِي كانت تتدلى من السقف على الْجسد. إذن (تشن) لا يقتل رجلا وإنما فكرَة مكفنَة بالْبياض؟! هو يعتقد أنه بالتّخلص منها تنتهي معاناته، وشرور الأرْض!) مالرو ببراعَة مُذهلَة استطاع أن يُلخِّص رؤاه للموقف خلال اللحظات الَّتِي تسبق الْقتل كلها: تشن لا يعرف الرَّجل الذي سيقتل ولا يَعِيَه، وكل ما يعرفه هو أن من واجبه أن يقتله! وهو مطمئن إلى هَذَا. ولا يراه كإنسان ذي جسد إلا لحظَة الْقتل بالذات، فقط لحظَة "يشعر بالجسم عبر نصل الخنجر ينتفض". يشعر "بهول" الْقتل الإنساني، لكن بهول وقلق مجيد، مجيد؟ ! لأنه فِي اللحظَة نفسها لا يعتبر نفسه قاتلا، فهو "قربان يقدمه للثورَة"، لا يهم من الْمقتول؟ ! وإنما الْمهم الأثر نتيجَة قتله!! ونقمَة الدراما، بعد أن يذهب متوهما الخلاص، إذا بالْمقتول رجل آخر؟

موته لا يُنهي معاناتَه وتبقى شرور الأرض ويضاف لوجدانه خزي أنه قاتل غبي بلا ثمن ولا معنى؟ يحدث هَذَا مَعَ الْمجرم السياسي حين تهرب منه طلقته عن الهدف الأساسي فتصيب بريئا! كانت السياسَة تُضايقه والنظام الاجتماعي يضيق عليه، فأنهى هَذَا الْغضب بالتَّنفيس بقتل أحد الْوزراء أو الْمشاهير أو، فإذا به قتل بريئا ولم يجد هربا من إثم الْقتل، إلا نفس الْعبارَة السَّابقَة "قربان الثورَة". صحيح أن قتل "الطاغيَة" هو قتل فكرَة بقدر ما هو قتل إنسان. ولكن لا عبرَة فِي النِّية الإجرامية بتحديد محل الْجريمَة: أهي الطاغية أم الْبريء؟! يا أيُّها الْقانون، أتتصور أنك تأتي لنا بالعدل؟! كم كنْتِ عبقرية يا زبيدَة حين قررتِ أن تُعرِّي الْقانون وتُفقديه وقارَه، كنت تُظهرين توحشَه وتطالبيه بالرأفَة، أأنت أديبَة أم علَّمك الأدب أن تكوني محامية شاطرة؟ !

القانون يرى توفر "النِّية الإجرامية" أي الْعمد لدى الْجاني بغير أن يَكُون الْجاني محيطًا بالصفات الْمميزَة لمحل الْجريمَة "الْمجني عليه" ويفترض أنه لم يكن يعنيه تحديد

هذه الصفَة وإدخالها فِي حسابه الإجرامي. فهو قد قبل الْجريمَة مقدمًا بالصفات الَّتِي يستقر عَلَيْهَا محلها أيًّا كانت عندئذ؟! ويعرِّف الْعمد هُنَا بحسب ما درج عليه الْفقهاء فِي كتاباتهم – بالعمد غير الْمحدود -! مالرو فِي رائعته "الوضع الْبشري" يُعرِّي الْقانون من أهم صفاته، ألا وهي الْمنطق! ولكن يبقى للقانون عذره "للعمد غير الْمحدود" حالَة الذي يُلقِي بقنبلَة فِي مكان عام اكتظَّ به الْجمهور قاصدًا من ذَلِكَ الإرهاب وإشاعَة الذعر والفوضى عن طريق قتل الْبعض، وإصابَة الْبعض الآخر بغير تعيين، أو قاصدًا قتل شخص بعينه يعلم بوجوده وسط الْمجتمعين ولا يعنيه بعد ذَلِكَ من يقتل أو يصاب من الأشخاص الآخرين أيًّا كانوا أوْ كان عددهم؟

الْحيدَة أو الانحراف عن الهدف يعالجها الْقانون بمنطق عقابي، لا بالعدل؟ ! وتتحقق فِي حالَة ما إذا أراد الْجاني مثلا أن يصيب "زيدا" بمقذوف ناري فيخطئه ويصيب شخصًا آخر يتصادف وجوده أو مروره بمكان الْحادث. أو ما يُشبه

حالَة ما إذا تعمد الْجاني قتل شقيقته بالسم بسبب سوء سلوكها، فلما أعطاها فطيرَة محشُوَّة بالزرنيخ لهذا الْغرض أرجأت أكلها ثم نسيتها فِي مكان بدارها فعثرت عَلَيْهَا شقيقتها الصغرى فأكلتها وماتت؟ ! أراد الْجاني "زيد" أو الْملك، أو الطاغيَة. وأراد الْقدَر "عمرا". فكان للقدر ما أراد، ولأن الْقانون لا يعرف ذلَّة الْقدر يعاقب الْفرد صاحب ذلَّة الْقدم! الْقانون لا يرى أي غلط "يشوب الْجاني بالجريمَة الَّتِي تعمدها أو بشخصية الْمجني عليه فيها، لأنه يعلم تمامًا شخص من يصوب إليه سلاحه أو الْمقصود بالتَّسمم، وكل ما هنالِك أنه أخطأه وأصاب سواه، ولكنه كان يريد النَّتيجَة الإجرامية "القتل"؟! فالرأي السَّائد فِي الْفقه والقضاء هو أن الْحيدَة عن الهدف أو الغلط فِي الشَّخص لا أثر لها فِي تحقق الْعمد لدى الْجاني بالنِّسْبَة للواقعَة الَّتِي انتهى إليها نشاطه، بمعنى أن الْجاني يُسأل عن هذه الْواقعَة كما لو كان قد تعمَّدها بالذات؟! فاعتبر الْغلط فِي الشَّخص والْحيدَة عن الهدف صورتين من صور هَذَا النَّوع من الْعمد الخاص الْمعروف بالعمد غير الْمحدود. معنى ذَلِكَ أن "الْباعث" قانونا شيء

مختلفٌ عن "العمد"، فهل ينبغي أن أمنحه أهمية عند الْبحث؟ الأدبيَة (غادَة السمان) ترى بأن الاغتيال السياسي يختلف عن الْقتل لأنه شيءُ حضاري؟ ! الْحيوانات تقتل باستمرار، لكنها عاجزَة عن ارتكاب الاغتيال السياسي، إنه أمر ينفرد به الإنسان فِي الطَّبِيعَة لأن له باعثا، لَه جذورا، وفي معظم الأحيان سامي، إذ إنه يتضمن قتل (فكرَة) أكثر من قتل كائن حي. حقيقَة الأمر أنّ السياسَة الْعقابية الْمعروفَة لا تهتم بالْباعث فِي التّجريم؟! ولكن لَه أهمية عند إيقاع الْعقاب. للباعث الشّريف أثره الذي لا شك فيه من حيث تخفيف الْعقاب بمعرفَة الْقاضي فيما بين الْحدَّين للعقوبَة "الأقصى والأدنى" أو تطبيق لأسباب الرَّأفَة عملًا بنظام (الإباحَة)، وقد اعتبر الْباعث شريفًا فِي الْجرائم السياسية لأن مرتكبها لا يعد عليه أدنى مصلحَة من فعله، بل يُضارَّ منها بنسبَة كبيرَة؛ ولذا قيل إنَّه يتمتع بحق اللجوء السياسي وعدم التّسليم. . فهل هَذَا يطبق فِي الْواقع أم يقع علي الْمجرم السياسي ما لا يقع على الْمجرم الْجنائي؟!

شعرت بيد على كتفي وأنا أسترسل مَعَ الْكتابة. وعندما الْتَفتُّ وجدتُها الْفَرَنْسِيَّة وراء ظهري؟ فهل ستبدأ الْغزل، أم النَّاقَة الْحمراء ستبدأ معي معركَة أخرى للإبل؟

اعتدلت ناحيتها فِي جلستي واستمرت لحظات الصَّمْت

- لماذا تهرب مني؟ أتتجاهلني أم نسيتني؟
- أنت لا تُنسَين.
- لن أعطل برنامجك، أريد عنوان الإقامَة، حتَّى أُرسل لزوجتك هدية ردًّا على هدية الْحجاب الأنيق.
- هل هَذَا يعوق زواجي من فرنسيَّة؟ !
- ستدخل السجن، ففرنسا لا تعرف تعدد الزوجات .
- ألا تجدين لِي حلا؟

قامت عاجلَة، فأعطيتها الْعنوان، وانصرفتُ معها، عند مخرج الْمكتبَة.

-2-

"إننا نعيش عالَة على الْغرب، لقد اكتُشِفت أن الْغرب لا يقوم بالتَّنقيب عن آثارنا فقط، وترميمها فحسب، بل يقوم بترجمَة النُّصوص من الْبرديات، والجداريات الْمصرية الْقديمَة إِلَى لغته هو؟! فالغرب، يكتب تاريخنا الْقديم، لم يكتف بتاريخنا الْحديث الَّذِي صاغَه على هواه؟!يبدو أن أساتذَة الآثار عندنا لا يعرفون الهيروغليفية ويعتمدون على ترجمات الْغرب! إذا بحثت عمن يكتب تاريخنا الْفرعوني ستكتشف أنه الآخر! الأجانب بمن فيهم الإسرائيليون، هم الذين ينقبون ويكتشفون ويسجلون النُّقوش والنصوص. بردية (كتاب الْموتى) محفوظة لديهم بالْمتحف الْبريطاني "جيمس برمسيتد" امتلك قدرَة الْبحث فِي كل النُّصوص الَّتِي تم اكتشافها حتَّى أوائل الْقرن الْماضي وقام بترجمتها للفَرنْسِية ولم تترجم للعربية حتَّى الآن! نحن نفاجأ بأن هُنَاكَ اكتشافات حديثَة تملك برديات أو نصوص تدخل الرَّيب و الشّك فِيما عرفنا، هُنَاكَ أخيرًا ما يعرف بمخطوطات

(الْبحر الْميت) منعت إسرائيل الْباحثين من الاطلاع عَلَيْهَا، وكل بضع سنوات تخرج علينا بمعلومَة وتقول وجدناها فِي هذه الْوثائق؟ "!

إنَّه الْموَّال اليومي الَّذِي أسمعه من زوجتي، فقد أصابتها لعنَة الْفراعنَة، إنها منكوشَة الشَّعر، مُنْكبَّة على كتب، وقصاصات لصحف، وفي كل يوم أستعير لها الْمزيد من مكتبَة جامعَة ليون، لم تعد مشغولَة بالْمطبخ، ولا الشّوبنج، ولا علي. أصبحنا نأكل الطعام السريع الْجاهز، وأصبح علي يحب بابا أكثر - يقولها نهارا جهارا- وهِيَ لا تهتم! فأنا الْحريص على شربه للبن، ولو كلفني ذَلِكَ بضع ساعات فِي "الْبرك" أو "الزو" كما يهوى مزاجه أحاول الدُّخُول للزوجَة. أُلاعبها أحيانا. فبملاعبَة الأحبة نصح نجيب محفوظ!! فأظهر اهتماما بدُنْيَا الْفراعنَة، ولكني أملُّ، وأرجع فِي كل محاولَة أردد: فعلى نفسها بغت براقش!!

أنا - ماذا لو كنت السَّادات، وقال لك بيجين كم هِيَ عظيمَة الأهرام الَّتِي بناها أجدادي اليهود الْقدماء؟

زوجتي- أقول لَه، يا بيجن، شد اللحاف عليك واتغطى كويس .

- وتقولي إيه لابنك علي وهو بيدعي "ربِّ لا تذرني فردا"؟

تغالط، وتهرب، وكأنها لم تسمع، وتستمر فِي توهَة الْفراعنَة..

- تصور أن "إيمانويل فليكوفسكي" أقحم الْوجود اليهودي فِي ثنايا تاريخ مصر. قرأ "فليكوفسكي" دراسَة فرويد عن "موسى والتّوحيد"، فكانت هذه الْقراءَة هي نقطَة التّحول فِي حياته، وبعدها نذر نفسه وعلمه لهدف وحيد أسماه "الطب النَّفسي التّاريخي"، وبه فسر التّاريخ واختار تاريخنا نحن الْمصريين بالذات!

وأعود لنفسي وأسأل من يُوقِف الْقطار؟ وأُردِّد: على نفسها بغت براقش!! وهِيَ تستمر ولا تتوقف:

- لأن لا أحد غيرنا فِي الْعالم يُسمح لَه بذلك. كتب كتابه عن "أوديب وأخناتون" والذي جاء تشويها متعمَّدًا لعقيدَة التّوحيد بهدف هدم شخصية أخناتون، فتحوَّل أخناتون عنده من داع إِلَى فكرَة التّوحيد إِلَى مجرد حامل لشعور عدائي تجاه أبيه، ومرتبط مَرَضيا بأمه، وبالتّالِي فكل ما جاء به من إصلاح ديني لم يكن غير ترجمَة لخيال مَرَضي مكبوت، فأخناتون هو الأصل التّاريخي لشخصية أوديب، وهو لم يشته أمه فحسب بل زنى بها! فأخناتون ليس ثائرا أو قديسا، لكنه مجرم خسيس قتل أباه ليزني بأمه. تصور؟ ! وانتهى فليكوفسكي هَذَا من كتابه "أوديب وأخناتون" سنَة 1945م وأُجَّل نشر الْكتاب لعشرين عاما ليصدر الْكتاب سنَة 1965م؟ ! ليرحب به الْغرب واليهود. إنها الْبداية لرفع فكرَة التّوحيد عن الْفراعنَة، ثم يحوِّلنا السيد فليكوفسكي إِلَى "حرامية" لفلوس اليهود وثروتهم!!

- كيف؟ وليس بعيدا أن يقيموا علينا مستقبلا دعاوي استرداد؟

- الثروَة الَّتِي جمعتها أمَّة اليهود وتراكمت على مدى مئات السنين من الْعمل، والاستقرار على أرض فلسطين، والغنائم الَّتِي جمعها الْملك شاؤول محرر الشّرق، ومن بعده الإمبراطور داوود، إضافَة لأرباح تجارَة الْملك سُليمان مَعَ آسيا وأفريقيا وهدايا ملكَة سبأ – كل ذَلِكَ لَهَفَه الْملك تحتمس الثالث كما هو منقوش على معبد الْكرنك، فيكون الْمصريون سرقوا كنوز اليهود!! .

- وهل الأمر مكتوب على جدران الْكرنك؟ !

- إنه يدعي إنها الْقراءَة الصحيحَة، لأنه وحدَه الَّذِي قرأ باطن النَّص وربطَه بغيره!! وعلى نفس الشَّاكلة تحدثوا عن الْوجود التّاريخي لليهود فِي مصر الْفرعونية، كتب ذَلِكَ فِي كتب ثلاثَة حملت عناوين "من الخروج إِلَى الْملك أخناتون"، "الأرض فِي

اضطراب" وكتاب "رمسيس الثاني وعصوره". وتشكِّل هذه الْكتب مُحاولَة وظفت مختلف الْمعارف الْعلمية بما فيها الْجيولوجيا لإعادَة ترتيب الْمفاصل الأساسية لتاريخ مصر والشرق الْقديم. اعتمدت على فكرَة ضبط إيقاع أحداث التّاريخ الْمصري مَعَ إيقاع التّاريخ الإسرائيلي، عملية رتق وقص ولزق، بل كسر عنق كل الْحقائق. التّاريخ الإسرائيلي الذي يقف دون شواهد أو توثيق يؤكد مصداقيته حتى الْقرن التّاسع قبل الْميلاد، أُعيد اختلاقه وضعيا بهدف له غرض.

- أتقصدين أنهم فعلوا ما فعلته الْممثلَة "برجريت باردو" حين سبَّت الإِسْلام والْمسلمين بسبب أضحية الْعيد الْكبير، وفي الْمحكمَة أعلنت أنه ناموس فاسد، لأن ذبيح النَّبي إبراهيم هو ابنه "إسحاق" وليس ابنه "إسماعيل"؟ !

- شيء يُشبه ذلك. فمثلا: الذي دمر جيوش الهكسوس ليس أحمس الأوَّل، لكنه الْملك شاؤول. . أول ملكوهم! هَذَا الْملك هو الذي حرر مصر من الهكسوس!! وغيَّر مسار التّاريخ فِي الشّرق وأتاح لمصر أن تنهض من جديد! مفتاح النَّظرية الْمخربَة هو خلق تزامن بين التّاريخين الْمصري والعبري، مغفلة فجوَة عمرها ستمائَة عام؟ ! لا تتردد فِي اختلاق كل الْوقائع لسدِّها، وحتى استخدام كل علوم الدُّنْيَا الْحديثَة، جاعلَة الْوجود الدِّينِي ملتصقا بالوجود التّاريخي! ليصل إِلَى أن الْملكَة حتشبسوت كانت معاصرَة للملك سليمان وأنها بالتَّأكيد ملكَة سبأ التّوراتية الَّتِي أتت إِلَى أورشليم عاصمَة الإمبراطورية الإسرائيلية الْقديمَة، فبلاد "بونت" الَّتِي أبحرت إليها حتشبسوت هي أورشليم– أرض الإله- وليست سواحل الصومال أو جنوب شبه الْجزيرَة الْعربية كما هو ثابت تاريخيا؟ ! فأورشليم هِيَ الَّتِي بهرت حتشبسوت بفنها الْمعماري اليهودي

وخَاصَّة هيكل سليمان، فرجعت لتشيد على شاكلته معبد الدير الْبحري!! إنَّه تهويد تاريخ مصر!

- وأنت حتثبتي إيه يا حرم آمون رع؟!
- أثبت أن عصر أحمس الأول لا يتزامن مَعَ عصر شاؤول وداود، وعصر حتشبسوت ليس هو عصر سليمان، وأن عصر تحتمس الثالث لا يوازيه عصر رحبعام بن سليمان، إن لديهم مشكلَة الْفجوَة التّاريخية من كون ملوك إسرائيل عاشوا فِي الْقرن الْعاشر قبل الْميلاد كما هو ثابت فِي التّاريخ الإسرائيلي وطرد الهكسوس على أيدي أحمس الأول تم فِي الْقرن السَّادس عشر قبل الْميلاد (1580 ق. م) هذه الأعوام الستمائَة غير الْمفسرَة والْمجهولَة، غطاها تاريخ موثق ومتتابع ومدون للتاريخ الْمصري.

-الْفجوَة التّاريخية لاتزال قائمَة؟

-كيف؟

- إننا إذا لم نُعجِّل سيكون الْفرق بين علي وأخيه أكثر من 6 سنوات وأكون بدأت الْعقد الخامس.
- لست مستعدَة لطفل، علي أخذت لَه 4 سنوات إجازَة، وهِيَ الْمدَة الْقانونية الْمسموحَة، أريد أن أرجع لعملي، سأعوض ما فات بهذه الْبحوث .

-3-

وصلت طعنَة بروتس للقلب، فلماذا كل حب أورثني طعنة في القلب! فأخذت علي وتركت الْبيت، لا بأس بالْحديقَة الْقريبَة، واللعب مَعَ الصَّغِير، كم هو جميل فِي هذه السن.

كيف لم أَثُر، وأكسر الأطباق، وأحطم الْمرايا؟ كيف لم أهدد بامرأة سواها؟ أكبرت!! أكبرت على الثورَة والغضب؟ احن لغضبى وأكره عقلي في هذه السن!! أم أخاف ألا أجد حبا يقبلني؟! أم أن الْحب طاغية يتيه فوق كافَّة الْقِيَم وفي ركابه ننسى أعمارنا، لا تُكمله الْفضائل، ولا تنقصه الْمثالب، نقائصنا تلوح فِي تاجه حسنا؟! أم أني نوع من الْبشر أحب أو أموت؟! العقل يقول لي: لم يبق لي من حق الغضب إلا على ولدى علي.

وصلنا لباب الْبنايَة نظرت كما تعودت على صندوق الخطابات لعل أحدًا من الْمحروسَة يرسل بخبر، وجدت

خطابا غريبا بخط عربي على مظروفه، الْحروف فيه بدون همزات!! أفتحه...

وأقرأ... جَمَلي الْجميل.

من: هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر"، أنا هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر. الأحباب دوما بين أحضان الْوجدان وعلى جدران الذاكرَة لوحات جميلَة لا يأتي عَلَيْهَا غبار النِّسيان. أحبك. وأُقَبِّل مفاتنك الْمتردِّدَة، ذكرياتي معك تكفيني، وتعصمني من فتنَة الرِّجَال فيما بقي من الْعمر!! فكم كنت نبيلا، حين خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق. كشفت سري ولكن أتحبني رغم ما كان؟! لأني أحرص على هَذَا الْحب الَّذِي نتائجه مستحيلَة .

أحكي قصتي:

سبق لِي أن أُجْهضت! كان الْفاعل من الْمحارم؟ كسر قلتي!! وبالتّالي لم يكن الْحل الزَّوَاج، إنك لا تعرف كيف تم الأمر معي؟ ماذا فعل الرِّجَال والنساء، كيف تجد الْكراهية

باسم التّبرك بالدين، لقد حرمت بسبب الْقسوَة والجهل والخوف والسرية من أن أكون أُمًّا فِي الْمستقبل؟ اجتمع عليَّ نساء الْقبيلَة بخبرتهم الْجاهلية فِي إسقاط أنثى اعتبروها عاهرَة، فأسقطوها للأبد. دبرت امرى، سأعود بعد شهر، بالطبع ستستمر معي بالشقة "الأستوديو"

يا أغلى النَّاس أحبك للأبد .

" زبيدَة- زوجتك"

-4-

قال أبو حنيفة لصاحب الطاق: يا أبا جعفر ما تقول في المتعة؟ تزعم أنها حلال.

قال: نعم

قال: فما يمنعك أن تأمر نساءك يستمعن ويكسبن عليك؟

فقال له أبو جعفر: ليس كل الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً وللناس أقداره ومراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ؟ أتزعم أنه حلال؟

قال: نعم.

قال: فما يمنعك أن تقصد نساءك في الحوانيت نباذات فيكسبن عليك

فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة وسهمك أقذح

***

هل أصبحت زوجاً للشيعية، بهذا العبث الذى كان شاهداً عليه رواية برهان العسل في لعبة الروايات، أم مؤمنا

آثما بفعله يطلب من ربه الغفران؟! ما عرفت موضوعًا أرّقني وأرهقني مثل هذا الموضوع، أصعب ما تكتشف أن ما تتعاطف معه وجدانيًا ليس بالضرورة هو الصواب، فقد يكون وقد لا يكون، وأن الصواب المطلق أحيانًا عسير المنال، خاصة إذا كان لدى الطرف الآخر من المنطق بقدر ما لدينا من الشك، وعنده من الحجج بقدر ما عندنا من علامات الاستفهام. ليس الأمر أمر لوم أو تساؤل بقدر ما هو أمر تمهيد لرياضة ذهنية مرهقة، ما أظن لها نظيرًا في قضية فقهية أخرى، فطرفا الحوار مختلفان أشد الاختلاف: السنة ترى أن المتعة حُرمت إلى الأبد، والشيعة ترى أن المتعة حلال إلى الأبد، والسنة تستند إلى مراجعها المعتمدة من صحاح وسنن ومسانيد وتفاسير، والشيعة تبالغ في استعراض قوة حججها بالاستناد إلى نفس المصادر والاعتماد على أحاديث واردة فيها عندهم. والطرفان يحتكمان إلى نفس الآيات القرآنية "والْمُحْصَناتُ مِنَ النّساءِ إلاّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ الله عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذَلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسافِحينَ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ

مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَريضةً ولا جُناحَ عَلَيكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضَةِ إنَّ الله كانَ عَليماً حَكيماً". لكنهما يخرجان منها بتفسيرات ودلالات لا تلتقى أبدًا ولا تتفق مطلقًا، بل يخرج هذا بعكس ما يخرج ذاك ويؤكده، ويخرج ذاك بنقيض تفسير هذا وبسنده، وكل طرف يلقي بحجته فتظنها نهاية المطاف، فإذا بالطرف الآخر يثبت لك أنها بدايته وأنها مردودة. وأنا حائر في اختياري، خائف أن أكون تزوجت متعة، وأنا أرفض زواج المتعة كما رفضه كبار الصحابة وأئمة التابعين عمر، وعبدالله بن الزبير، والأئمة الخمسة، أبو حنيفة ومالك والشافعي، وابن حنبل، وزيد، وغيرهم كثير. وهؤلاء لا يجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل، وهى تقبل بزواج المتعة، وترى إنكاره في الدين من جانب السنة كأنكار الكنيسة لمريم المجدلية، وعندها جمعٌ آخر من كبار الصحابة والتابعين قد ناصروه، منهم عبدالله بن عباس، عبدالله بن مسعود، وأبىّ بن كعب، وابن جريج، وقتادة، وسعيد بن جبير، وسعد بن المسيّب، والإمام جعفر، وما أظن أن هؤلاء أيضًا يجتمعون على خطأ

أو ينتصرون لباطل[7] و أثارني تكرار النسخ في مسألة المتعة وتبين لي إنه أمر اختلف فيه أهل العلم. يرى أهل السنة أن الرسول قد نهى عنه يوم خبير أو يوم الفتح. والذين قالوا: حُرِّم يومَ خيبر قالوا: ثم أبيح في غزوة الفتح، ثم نهي عنه في اليوم الثالث من يوم الفتح. وقيل: نهي عنه في حجة الوداع، قال أبو داود: وهو أصح. ويقول الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: لا أعلم في الإسلام شيئا أُحِلَّ ثم حُرِّمَ ثم أُحِلَّ ثم حُرِّمَ غير المتعة. وترجيح النووي فيه بعد سرده قوله:

[7] زواج المتعة: هو: أن يتزوج الرجل المرأة مدة معينة ينتهي النكاح بانتهائها من غير طلاق. وليس فيه وجوب نفقة ولا سُكنى ولا توارث يجري بينهما. يرى الشيعة بان الرسول لم يحرمه وإنما حرمه عمر بن الخطاب. وروى مسلم في صحيحه: عن ابن أبي نضرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال : على يدي دار الحديث : تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة وأبتوا نكاح هذه النساء، فلئن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة.

وفيما ذكره الفخر الرازي عن فضل زواج المتعة عند الاثني عشرية "الشيعة" عن الباقر قال قلت: للمتمتع ثواب؟ قال إن كان يريد بذلك الله عز وجل وخلافا لفلان لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له حسنة وإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا فإذا اغتسل غفر الله له بعدد ما مر من الماء علي شعره قال قلت بعدد الشعر قال نعم بعدد الشعر

قال الإمام ابن المنذر:(جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحدا يجيزها إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقولٍ يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)

وقال القاضي عياض: (ثم وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها إلا الروافض).

وقال الإمام القرطبي: (الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل وأنه حرم، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض). وهذا الإجماع القطعي في التحريم، مستنده الكتاب والسنة

قوله تعالى: (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) [النور: 33]. ولو كانت المتعة جائزة لم يأمر بالاستعفاف ولأرشد إلى هذا الأمر اليسير، وقد تحققنا قيام أمر الشريعة على اليسر ونفي الحرج.

والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين، وكانت حلالا قبل خيبر، ثم أبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوطاس لاتصالهما، ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة واستمر التحريم ـ شرح مسلم 553/3

المتعة: حللت ثم حرمت، ثم حللت ثم حرمت؟ اللهم لا اعتراض.

الفصل الثاني

أُووه إنَّه قانون "جيسو"، شَوْكَة الْحالَة الْفكرية فِي فرنسا؟!

كان الْوقت ذات مساء حين دق جرس الْباب.

نحن نستغرب ذَلِكَ بالطبع؟ فلا أحد لنا بفرنسا. خففت من إزعاج زوجتي، بأنها ستتسلم الآن هدية - كوعد الْفَرَنْسِية السَّابق- الذي حصلت بناء عليه على عنوان منزلنا. ولكن كانت مفاجأَة أخرى عند فتح الْباب؟ ! فرنسي فِي زي حكومي يُسلِّمني "إعلانا" بمثول زوجتي أمام قسم التّحقيقات الخَاصَّة بليون؟!

أسأله: لماذا؟ ! وكيف عرفوا عنوان بيتنا؟ وما الْجرم؟ لا إجابَة. إنه موظف عمومي يحمل أسفارا. أُوَقِّعُ على الإعلان فِي ذهول، وهو إعلان بلا أي هوية يعلنها بالْحضور خلال 48 ساعَة السَّاعَة 10 ص للإدلاء بأقوالها فيما هو منسوب إليها، أمام قسم التّحقيقات الخاص، وهو

يشبه النَّيابَة عندنا، وهو قسم يعرف بالشرطَة الْقضائية، أي له عمل الاستدلالات وبعض أعمال التّحقيقات.

اكتشفتُ بمناقشَة زوجتي بدقَّة فِي الأمر. أنها أخفت أمرين وأتمنى أن يقتصر ما أضمرته عليهما، فهِيَ تُضمر الْكثير كعادتها.

الأول: أنها لا تزال تُدمن حبوب منع الْحمل!!

الثاني: أنها أرسلت بمقالة لمجلَة فرنسية بعد أن استولت عَلَيْهَا لعنَة الْفراعنَة، ولكن الْغريب أنها وقَّعَت ما كتبته باسم استعراضي: (مصرية فِي باريس).

(مثلما "هوَّدُوا" تاريخ أَلْمانيا بالهولوكست، فغُرَف الْغاز الَّتِي صدَّعوا رؤوسنا بِهَا كانت تستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبقع ! يبدأ اليهود الآن تهويد تاريخ مصر!! وقد نشر مفكر فرنسي يُدعى بيير ماريه فِي دوريَّة (تحقيق ومراجعَة) الْفَرَنْسِية فِي سبتمبر 1992 مقالا من 3 صفحات بعنوان "غُرَف الْغاز النَّازية حالَة خاصَّة"، تناول فيها الْمحرقَة النَّازية من زاوية علمية، فقال إنه لو كان الأساس

الْعلمي صحيحا فإن الْفكرَة الَّتِي يروج لها اليهود عن اختناق كل هَذَا الْعدد فِي غرف الْغاز أمر غير ممكن علميا وعمليا - بسبب كمية الْمياه الرَّهيبَة الْمطلوبة لتنفيذ ذَلِكَ الأمر. وقالت فِي النِّهاية الهولوكوست غير صحيح وغير ممكن منطقيا. ونقول إن ما سُطر عن أخناتون، والنبي يوسف، وأحمس، وحتشبسوت غير صحيح وغير ممكن منطقيا. وذلك على التّفصيل الآتي:....). أهذه السطور الَّتِي بدأت بِهَا زوجتي مقالتَها وأرسلتها لمجلَة "ليبراسيون" الْفَرَنْسِية كافية لكل هَذَا الرُّعب رغم أن الْمقالَة لم تُنشر.؟! ولكن بإعادة الاستجواب تبين أنها سبق لها أن أرسلت عدة مقالات سابقة.. ونشرت، وأن حواراتها معي لم تكن إلا بروفه لهذه المقالات، فهي نوع من الكتاب تكتب ما تنشره برأسها أولا، فإذا جلست للكتابة كان الأمر مجرد كربون وانتحال لما في هذه الرأس، وفى كل مره نكرر المناقشة تلمع معلومة إضافية مثل أنها تحصلت على مقابل من اليورو لهذه المقالات..

أفهم الآن "الْبير كامي" حين يقول: إن ما يُعطي قيمَة للتَّرحال هو الخوف! إننا نُسافر للمُتعَة، كذبَة نُصدقها، ليس هُنَاكَ أي متعَة فِي السفر، ولكنه فرصَة للامتحان الرُّوحي، فالسفر يعيدنا مرَّة أخرى إِلَى أنفسنا. لا أستبعد أن تستبدَّ بي - عندما أعود لمصر- لوثَة تجعلني كلما صحوت كل نهار أتلقى أمي بالأحضان فِي لهفَة شديدَة انبهارا للحقيقَة الْعجيبَة أنها بجانبي وأراها كل يوم! بقي عندي سؤال مُؤرِّق: كيف عرفوا عنوان منزلنا؟ !

وإذا كان هكذا، فلماذا جهلت ذَلِكَ الْفرنسية بنت الْفَرَنْسِية، ذات التّايير الْقصير؟! كان السُّؤَال الأخطر هو الذي فجرته زوجتي، كيف عرفوا اسمها ثلاثيا وقد وقعت باسم كودي استعراضي رجعي: مصرية في باريس"؟

دق جرس الْباب مرَة أخرى؟

فتحت الْباب. طَلَّت الْفَرَنْسِية بلحمها، وتاييرها الْقصير. كان لونه أصفر فاقعًا... ليس هَذَا وقت الأصفر! الغريب أنها قبَّلتني على وجنتي. فكاد يُغشى على زوجتي. أخرجت

هديتها وقدمتها لزوجتي - زُجاجَة بارفان مبهجة - باحت زوجتي، وهِيَ تبكي على صدرها بكل شيء؟! ما إن رأت الْفَرَنْسِية نُسخَة الْمقالَة الْمُرسلَة لمجلَّة "ليبراسيون" الْفَرَنْسِية حتَّى حلت اللوغاريتم؟

الفَرنْسِية - أُووه إنَّه قانون "جيسو"، شَوْكَة الْحالَة الْفكرية فِي فرنسا، قانون مُنْذُ صدوره عام 1881 نص على "تجريم كل محاولَة لمراجعَة الْحقائق التّاريخية الَّتِي تؤكد وقوع جرائم ضد الإنسانية، بالذات تلك الَّتِي وقعت ضد اليهود، لتظهر تهمَة معادَاة السَّاميَة"[8]. فالشك فِي الهولوكوست، أو التّشكيك فِي أعداد اليهود الذين ماتوا فِي الهولوكوست هو نهاية الْعالم، الأمر ليس سهلا.

[8] تنظر التّوراَة إلى الأمم والأجناس الَّتِي خرج بهم النَّبي موسى من مصر، ومن انضم إليه من الشّعوب الأخرى، على أنهم كيان واحد، وبذلك يَكُون يهودي كل من يعتقد فِي الديانَة اليهوديَة، فتكون اليهودية خليطا بين شعوب سامية وغير ساميَة. ولقد فشلت كل الْجهود الَّتِي بذلت من أجل إثبات تاريخية أحداث قصَة الخروج ولم يستطع الْمؤرخون وضع هذه الأحداث ضمن إطار تاريخي محدد. الذي اقترح اسم السَّامية الْعالم الألماني شلوترزر للدلالَة على مجموعَة الشّعوب الَّتِي عاشت فِي الطرف الْغربي من الْقارَّة الأسيويَة، مرتبطَة لغويا وتاريخيا وحضاريا، وهي الَّتِي تضم الْعرب والْبابليين والأشوريين والأراميين والسريان واليهود وبعض قبائل الْحبشَة، ويقول الْعالم الْفَرَنْسِي الأب هنري فليش: إنه ينبغي أن نفهم من استعمال كلمَة السَّامية أنها ليست أكثر من مجرد مصطلح لتيسير الأمر على الْباحثين دون قصد إِلَى أي دلالَة عنصرية. انظر، حسن ظاظا: الْفكر الدِّيني أطواره ومذاهبه، دار الْقلم سوريا 1978 ص 103 – 104.

زوجتي: ولكن مقالَتِي عن الآثار، عن تهويد تاريخ بلادي؟!

الفَرنْسِية: ذكرتي الأمر فِي بداية الْمقالَة (مثلما "هوَّدوا" تاريخ أَلْمانيا بالهولوكست، فغرف الْغاز الَّتِي صدَّعوا رؤوسنا بِهَا كانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبُقع!) ثم إن الأمر فِي أساسه ضد اليهود، ضد السَّاميَّة. وهناك مقالات سبق نشرها بنفس المعنى.

قلت: الْعرب "ساميون" يا سيدتي، كيف نكون ضد أنفسنا؟! إن اليهود يعتبرونا أولاد عم. فالجد الأكبر لنا النَّبي إبراهيم؟!

قالت: إن قانون "جيسو"، يحرم علينا الاقتراب من الْفترَة بين عامي 1941 و 1946 ويتركنا أحرارا لندرس الـ 4 آلاف سنَة تاريخيا كما نشاء؟! فلقد عُوقب بهذا الْقانون الْمؤرخ اليهودي "برنارد لويس" لأنه شكَّك فِي مذبحَة الأرمن الَّتِي ارتكبها الأتراك، وحكمت عليه الْمحكمَة الْعُليا الْفَرَنْسِية رغم أنه يهودي، لأنه اقترب مما يُسمى حقائق فِي الْفترَة الْمعنيَّة.

أنا وزوجتي: الْمقالَة لم تُنْشر؟

قالت: نقطَة ليست لصالْحنا، أصل الْمقالَة فِي الْمجلَّة، ونحن لا نعرف مَن أصحابها، ولا اهتماماتهم، ولا الْمصالِح الَّتِي تعنيهم، ولا علاقاتها بالجمعيات الْكثيرَة اليهوديَّة. النفوذ اليهودي في فرنسا هو أكبر نفوذ يهودي في أوروبا. وهذا النفوذ قديم ومرتبط بالحياة اليهودية في المجتمع الفرنسي، وقد ازداد بعد قيام إسرائيل ومشاركتها في العدوان الثلاثي مع فرنسا وبريطانيا على مصر. ومع ذلك فإن اليهود الفرنسيين بالرغم من مساواتهم في الحقوق مع سائر المواطنين الفرنسيين لم يندمجوا اندماجاً كاملاً في المجتمع الفرنسي. واستمروا في التقوقع حتى لا تذوب الشخصية اليهودية داخل المجتمع الفرنسي. وشدد بن غوريون على هذه القضية وقال "إن الاندماج في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود هو أكبر خطر يهدد اليهودية اليوم". وبالنسبة للقضية الفلسطينية فإن النفوذ اليهودي الموجود في

الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، أمر واضح في فرنسا. واعترف الجنرال ديغول بعد حرب 1967 بهذا النفوذ المسيطر على وسائل الإعلام الفرنسية، مما جعل اليهود يتهمونه بمعاداة السامية. كما أن نفوذهم يبدو واضحاً أيضاً عند السياسيين الفرنسيين ذوي المصالح الاقتصادية المرتبطة بمصالح اليهود، وكذلك داخل المؤسسات الاقتصادية والبنوك. على كل حال، ممكن بحث الأمر غدا فِي الْجامعَة، أستأذن بالانصراف

من ينتظر للغد أيتها الْفَرَنْسِية !!

ليس أمامنا سوي 48 ساعَة – أتمثل زوجتي أمام إدارَة التّحقيقات عن جريمَة وهميَّة وقد تُحبس احتياطيا رهن التّحقيق وقد...؟! هل يمكن ألا يجد ابني والدته معه؟! تكوَّرت زوجتي على ابنها آخذة وضع الْجنين، وكأنها تودِّعه. دموعُها تنزف – لم أرها يومًا بهذا الانهيار- أمسح

دموعها وأُهدئها دون جدوى. أحتمي بالْعَقْل، والْمنطق وأنا أُهدِّئ من روعها. كانت تقول: ناس ما تعرفش ربنا!!

- والله أنت ما كدبتي: لا ذِكر في التّوراَة لبعث وجَنَّة ونار وحساب وآخرة، دائمًا مكافأَة الله لعباده وعقابه لهم يَكُون فوريا ودنيويا؟!
- ماذا سنفعل؟
- هل لنا فِي فرنسا شيء. ما رأيك لو تركناها؟! إن لدي خطَّة ذات نتائج مزدوجَة، فتكون خطَّة هروب، وقد تكون كوميديا نضحك منها، الأمر يتوقف على الخطورَة. الْمهم لا تسألي، انطلقي معي بالتّنفيذ.

اهتمت، وأعطتني الاهتمام الْمطلوب، هزت قلبي من الأعماق لحزنها، فعدت لبقايا الْفُرسان بداخلي، بسطت راحَتَيَّ للسماء: "اللهم اجعل حُزننا رمادا كما قلت لنار إبراهيم: "كوني بردًا وسلاما". ضحكت وهِيَ تمسح دموعها فأدركت أن النَّحلَة فطرتها الطَّبِيعَة ملكَة؟ إنها من أسرَة بشوات، من الذين لا يعرفون الضغوط.

قلتُ: سأهبط لأتدبر خطورَة هَذَا الإعلان وأنت ستهبطين بعدي ومعك علي، فتذهبي للكوافير فتقصي شعرك قصيرا، ثم تشتري باروكة صفراء، ويثبتها لكي الْكوافير بإحكام، واشترِ أيضًا بانطلون جينز ضيقا آخر صيحَة، لا أريد أن أرى هَذَا الاندهاش فِي عينيك، إنها خطَّة هروب.

قالت: ألا من أمل أن تكون مجرد كوميديا نضحك منها؟!

تركت الْمنزل قبلها، حاملا مجموعَة من ملابسنا الْقديمَة، واتجهت بِهَا إِلَى الْمغسلَة وطلبت غسلها وكيَّها، كنت أحب أن يظهر الأمر وكأننا فِي حياتنا الْعادية ! وقبل الذهاب لمكتبَة الْجامعَة، اشتريت تذكرتين سينما حفلَة الْمساء للتمويه!! إحساس بأني مراقب - وإن كنت غير واثق من صحته - يفرض عليَّ إتقان الهروب. كانت خطة السِّينِمَا فِي خيالي مُنْذُ فعلها السَّادات يوم قيام الثورَة. هل انتابته أحاسيسي وخوفي أم كان حذقا وداهية سياسة؟!

في مكتبَة الْجامعَة تبيَّنت خطورَة قانون "جيسو"[9] فلم تكن الْفَرَنْسِية مبالِغَة - هكذا عرفت الأمر من ملفات الْمحاكم الْمطبوع أحكامها سنَة بسنَة بمكتبَة الْجامعَة

–كانت هُنَاكَ مسرحية اسمها "صديقي فريدريك" تروي قصَة اضطهاد طفل يهودي فِي ألْمانيا فيما بين الْحربين الْعالميتين. مُدرِّس بإحدى الْمدارس الثانوية الْفَرَنْسِية ويُدعى "جان اوي بيرجيه" رأى أن نظام التّعليم الْفَرَنْسِي لا يقدم الْحقائق التّاريخية الْحقيقية فِي فترَة الْحرب الْعالمية

[9] منكرو وقوع الْمحرقَة انطلقوا جميعا من عباءَة مفكر فرنسي يُدعى " بول راسينيه " نشر عام 1950 كتابا بعنوان (أكذوبَة أوليسيوس) ذكر فيه أن الْمحرقة مجرد مؤامرَة يهودية عالمية، وأن كل الْوقائع الَّتِي حدثت فِي معسكرات التّعذيب كانت مجرد أفعال فردية من رجال الصاعقَة الألْمانية، وانضم لذلك الْمقاتل الْفَرَنْسِي الْقديم فِي صفوف الْمُقاومَة الْفَرَنْسِية " موريس باردِيك " ولم يحاكم اليهود راسينيه بقانون جيسو، لكنهم انتقموا منه شر انتقام فِي شخص تلميذه "روبرت فوريسون ".

وكان روبرت فوريسون هو أشهر تلاميذ راسينييه وكان أستاذا للأدب الْفَرَنْسِي رفض بدوره وقوع الْمحرقة ضد اليهود. كانت بداية إنكاره حقيقَة غُرَف الْغاز عام 1960 عندما قرأ مؤلفات راسينييه، ووصل إِلَى إقناع تام بعدم حقيقتها. ثم بدأ فِي إرسال خطابات إِلَى صحيفَة لوموند الْفَرَنْسِية تحمل أفكارَه وفي عام 1987 نشر مقاله الَّذِي أحدث ضجَّة شديدَة والذي حمل اسم (أكذوبَة أوشفيت) والذي اعتبره اليهود الْبداية الاستراتيجية الْحقيقية لمنكري حقائق التّاريخ، وأعقب فوريسون مقاله بسلسلَة من الْمقالات فِي صحيفتي: لوموند والْفرنسيتين يحمل نفس أفكاره الْمنكرة للمحارق بشكل أكثر استفاضَة وتنظيما بين عامي 1981 و 1982. و قرر اللوبي اليهودي أن الأمر قد زاد عن الْحدِّ مَعَ فوريسون. فبدءوا الْمُلاحقات الْقضائية ضده وأدانه قانون جيسو عام 1982 بتُهمَة الْعُنصرية وإنكار حقائق التّاريخ والتّحريض على الْكراهية الْعنصريَة. وهاجم فورسيبون عام 1990 التّعديلات الْجديدَة على قانون جيسو فابيو ووصفها بأنها مقيدَة لحرية الْفكر والْبحث التّاريخي فِي فرنسا، لكن ذَلِكَ الاحتجاج لم يمنع اليهود من ملاحقته قضائيا عدَة مرات بين عامي 1988 و1990 .

الثانية كما ينبغي، وضع نقطَة نظام أمام طُلابه، وعَقِب عرض هذه الْمسرحية قال: لا أريد منكم أن تتأثروا بكل تلك الْمشاهد الَّتِي رأيتموها. تناول الأمر من النَّاحية النَّقدية قائلا: "ستلاحظون أن اليهود الذين ماتوا فِي مُعسكرات التّعذيب أقل بكثير مِمَّا يقولونه لكم، وغالبية اليهود الذين ماتوا لقوا مصرعهم من آثار حصار الْحُلفاء لهم فِي الْمُدن الألْمانية، أما "غُرَف الْغاز" الَّتِي صدَّعوا رؤوسنا بِهَا فكانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبقع". كانت تلك الْجملَة الْعابرَة التي نطق بِهَا الْمدرس الْفَرَنْسِي كافية جدا لكي يبدأ اللوبي اليهودي فِي مُلاحقته قضائيا وجنائيا ومدنيا!! فقام أولياء أمور الطُّلاب بتقديم شكوى لإدارَة الْمدرسَة ضدَّه وحوكم بموجب قانون "جيسو الْفَرَنْسِي" بتُهمَة الْعنصرية ومُعاداة السَّامية وإنكار وقوع جرائم ضد الإنسانية، وحكم عليه بالْحبس لمدَة 12 شهرا وبغرامَة قدرها 10 آلاف فرنك مَعَ تهديد صريح بإبعاده من السلك التّعليمي فِي فرنسا. وإلى جوار الْمُحاكمَة شنَّت جماعات الضغط اليهودي حملَة إعلامية شرسَة عليه وَصَفَتْه فيها بأنه نازي يبُثُّ سمومه فِي

آذان الطُّلاب وتعقبوا كل محام يدافع عنه، وصنعوا له تاريخا أسود يصعب تحديد حقيقته من زيفه. عند محاكمة "جان اوي بيرجيه" أمام الْقضاء الْفَرَنْسِي جلست زوجته فِي قاعَة الْمحكمَة تتلوا آيات من الْكتاب الْمُقَدَّس وهِيَ ترتجف، بينما جلس هو هادئا وعلى وجهه ابتسامَة لامُبالية وعندما سألتْه الْقاضيَة: هل تؤمن حقًّا بأن غُرَف الْغاز النَّازية لم توجد قط؟

اتَّسعت ابتسامته اللامُبالية

- لماذا تسألونني سؤالا يُجرِّم الْقانون الإجابَة عنه؟ ليس من حقي ولا من حق أي مخلوق أن يفكر مجرد التّفكير فِي الإجابَة عن ذَلِكَ السؤال[10]

يبدو أن اليهود لن يتركوا أحدا فِي دراسته يوما واحدا إذا تعلق الأمر بتاريخهم دون أن يلاحقوه ويحاكموه ويمزقوه إربا لو لزم الأمر، وفي نفس الْوقت سيذبحون كلَّ مَن يُحاول إضافَة حقائق جديدَة للتاريخ تضم الْمذابح الَّتِي يرتكبونها هم.

[10] باحث تاريخي هو برنارد نوتين أستاذ الاقتصاد الْفَرَنْسِي بجامعَة ليون الَّذِي نشر عام 1989 فِي مجلَة " اقتصاد ومجتمعات " الْفَرَنْسِية بعنوان: دور الإعلام فِي تغييب الْوعي الْقومي. أنكر فيه بشكل حاد وقوع الْمحارق النَّازية، فلاحقه اليهود قضائيا بنفس الشّكل الحادّ وحاكموه. ثم أدانوه بموجب قانون جيسو.

فهل يتركوننا؟! كانت أغرب قضايا مُحاكمَة مُفكِّر بموجب قانون جيسو هِيَ قضية الْمؤرخ الْفَرَنْسِي "جان بلاتين" الَّذِي أصدر 3 أعداد من مجلة تاريخية نشر فيها عدَّة مقالات تتناول الْفترَة فيما بين الْحربين الْعالميتين، وتوصَّل فيها إِلَى نفس الْحقيقَة الأساسية الَّتِي يتوصل إليها كل من يُحاكم بقانون جيسو: أن الْمحرقَة النَّازية فِي مُجْمَلها مجرَّد أكذوبَة كبيرَة، وكالعادَة أطلق اللوبي اليهودي قانون جيسو فِي مواجهته. لكن الْمفاجأة الَّتِي اصطدم بِهَا اليهود كانت استحالَة تطبيق قانون جيسو على الدَّوْريات الَّتِي تفصل بين صدور أعدادها مُدَّة زمنية طويلَة، وكانت هِيَ حالَة بلاتين الَّتِي كانت تتخلَّل فترَة صُدور أعداد دورية فِي السوق الْفَرَنْسِي فترَة طويلَة، إلا أن ذَلِكَ لم يوقف اليهود؟! .. فلم يستخدموا قانون جيسو لعام 1990. استخدموا نُسخَة قديمَة للقانون صدرت عام 1949 واستخدموا مادَّة فيه تنص على ضرورَة حماية الْقصر من الْمواد الَّتِي تُزيِّف حقائق التّاريخ ونجحوا فِي تغريمه: 30 أَلْف فرنك لـ3 جهات يهودية مختلفَة، ونصحوه بأن يكف عن الخوض فِي مثل هذه الأمور حتَّى لا تصل

غرامته إِلَى الْحد الأقصى الَّذِي يُحدِّده قانون جيسو وهو 300 ألْف فرنك.

أخرج من الْجامعَة، أتَّجه إِلَى صالون حلاقَة على الْجانب الآخر من الْميدان الْواسع، إحساس بأني مُراقب وإن كنت غير واثق من صحته - يفرض عليَّ فكرَة التّنكُّر؟! إنه الخوف الْغامض. أطلب من الْحلَّاق أن يحلق شعري "زيرو"، وللدَّهشَة طلب مني أن أختار بين عدَّة قصَّات! تنتهي الْحِلاقَة، أنظر فِي الْمرآة، فأجد شبيها "لبول برينر" أشهر ممثل عالمي أقرع .أترك الْمكان. لم يبق إلا الهروب مَعَ زوجتي الْحسناء الْمُعدَّلَة بالشَّعر الأصفر الصِّناعي، تخرج من فرنسا بدون حجاب بفقه الضَّرُورَة ومنطق الْغُربَة؟

أَيُمكن أن تدعوني فرنسا لوليمَة للحزن؟ أتكون هذه الأرْض محترفَة للعشق والخوف بالتّساوي؟

قصتي مَعَ فرنسا لها عدَّة بدايات، ولكن تأتي النِّهايات غير الْمُتوقَّعَة، إنها مَقالِب الْقَدَر. يُصبح ما حَلمنا به صغيرا،

تافها، إذا ما تَعارض ذَلِكَ مَعَ أمْنَنا وحريتنا. سُلَّم الأولويات يتغير فجأة فلا يبقى إلا أمل النَّجاة، ألهذا قال (سارتر) عن الأحلام والأماني: الأمل الْقَذِر؟!!

لم يعُد صَدْر فرنسا موطني ولا أرض الهوى أرضي. مُستَحيل أن أبقى هُنَا. فهنا يبكي بعضي على بعضي.

نهرب إلى بريطانيا فيما يُشبه رحلات النُّزهَة الْبحريَّة، عبر بحر الْمانش.

نخرج بأرواحنا فقط، تاركين آمالنا يأكلها الخطر، أحن لخبز أمي.

لم أنس أنْ أضع مفتاح الأستوديو فِي مظروف بصندوق بريد المغربية صاحبَة الْبيت. كل الأجرة مسددة حتى تعود. ما بيننا كانت فرنسا؟!

أيُمْكن أن ننجح؟

أيمْكن أن نجد مِتْراسا مُتاحًا للبهجَة؟

استدراك

الرواية عمل متخيل، وبالمثل الشخصيات الروائية ليس لها وجود في الحقيقة وإن كان من الممكن أن توجد في الواقع. أما المؤتمر الإسلامي المذكور في ثنايا الرواية فهو حقيقي، وكان تقليدا في التسعينات من مسلمي فرنسا، ولكنه لم يعد له وجود في أواخر عهد ساركوزي وقت أن كان وزير داخلية فرنسا، وبالطبع اندثر وساركوزي رئيسا لجمهورية فرنسا، وحتى الأن.

في الرواية توثيق عن إشكالية النقاب والحجاب في فرنسا وهو واقع، وقد يكون بأسواء مما ذكرت، وقد وضعته داخل الرواية.

القوانين الفرنسية داخل العمل لا لبس فيها ولا خلاف

ما ذكر بالرواية فيما يمس أي دين مذكور بتوسع وعمق في كتب اللاهوت المسيحي والفقه الإسلامي، وفى ذلك أصعب ما تكتشف أن ما تتعاطف معه وجدانيًا ليس

بالضرورة هو الصواب، فقد يكون وقد لا يكون، وأن الصواب المطلق أحيانًا عسير المنال.

عن المؤلف

الاسم : اشرف مصطفي توفيق محمد

وشهرته اشرف توفيق

البريد الإليكتروني

Ashraftawfik11@gmail.com

الجنسية: مصري

عضو نقابة المحامين 2002

حاصل على الدبلوم العالي للدراسات الإسلامية بامتياز وكان ترتيبه "الأول" - حاصل على ماجستير قانون - عضو أتحاد الكتاب 1995، عضو أتيليه القاهرة 1999

-حاصل على جائزة سعاد الصباح للدراسات الإنسانية 1989م عن كتاب: (المعارضة)

-كتاب "حريم في حياة الزعيم سعد زغلول: الثورة التي أيدها الحرملك" حاصل على شهادة تقدير من مركز بحوث- حزب " الوفد "

-رواية واحدة ورقية "مملكة الجنة" وصلت للمستوى القممى ففي تونس – دورة أبى القاسم الشابي- للرواية

-حاصل على جائزة يوسف السباعي للمقال النقدي ثلاث مرات

تجارب روائية سابقة:

" -سرير بلا أحلام" عن نون للنشر الإلكتروني

" -نجمة يناير" عن حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

http://www.mediafire.com/?gi8rgsy0239

9cz4

" -الطريقة الفرنسية- جزاءان- " عن حروف منثورة للنشر الإلكتروني

صدر في هذه السلسلة

1- جمال الجزيري: مقهى الأدباء: رواية قصصية. ط1، يونيو 2015

http://www.mediafire.com/?zswdkv9aslw5h6j

2- **جمال الجزيري: خارطة العودة: رواية تفاعلية غنائية. ط1، يونيو 2015.**

http://www.mediafire.com/?ic8ob4o2ppto187

3- **أحمد سيد طه: حكايات ألف نيلة ونيلة: رواية. ط1، يونيو 2015.**

http://www.mediafire.com/?0we9ua9c2wx6ax2

4- **محمد السيد الغتوري: أنشودة الشيطان: رواية. ط1، يونيو 2015.**

http://www.mediafire.com/?3whm8nzqk4c23k2

5- أميمة أحمد العزيز: القلادة: رواية. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?ia0gxee0lk6dpet

6- محمد السيد الغتوري: أسطورة العصامية: رواية. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?lzm8mdiooipge5i

7- أشرف توفيق: نجمة يناير: رواية. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?gi8rgsy02399cz4

8- إيهاب بديوي: مئة عام من الحزن: رواية. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?9cz3e438oda78o7

9- جمال الجزيري: طقوس العبور: رواية قصيرة. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?o0ds9okuzdffpk1

10- جمال الجزيري: نار هادئة: رواية قصيرة. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?kjb25vibqkqp60k

11- جمال الجزيري: هروب دائري: رواية قصيرة. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?knvo5fh95l2qpz9

12- جمال الجزيري: فيلم طويل: رواية قصيرة. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?8ag10ozn00jyn7m

13- جمال الجزيري: مشروع تخرج: رواية قصيرة. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?592droqa4m6gvc9

14- جمال الجزيري: وقود الحركة أو الموعد الآخر: رواية قصيرة. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?p5is4zzo1kbis11

15- محمد السيد الغتوري: مش عيب! رواية. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?cdtmoqp3nkhws5v

16- إيهاب البديوي: أوناس... خيال الظل: رواية. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?yrwcxreqcx0a9c5

17- سمير أحمد الشريف: همس الشبابيك: رواية. ط1، نوفمبر 2015.

http://www.mediafire.com/?kg99nn1d3e48x7a

18- هاني النجار: قهوة محروس في اليوم المنحوس: رواية. ط1، نوفمبر 2015.

http://www.mediafire.com/?0m04fzbtz6zt6re